التفسير الميسر

لقصار السور

د. حجازي خليل أمين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

التفسير الميسَّر لقصار السُّور

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شركة M.M.E.A.D للطبع والنشر والتوزيع
مطبوعات محمد دحروج - جمهورية مصر العربية

رقم الإيداع : 2399 / 2021

تاريخ الإيداع : 19 / 1 / 2021

الترقيم الدولي : 978 977 6777 84 2

التفسير الميسر لقصار السور

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اسم الكتاب / التفسير الميَّسر لقصار السُّور

التصنيف / تفسير القرآن ، علوم إسلامية

اسم المؤلف / حجازي خليل أمين

المراجعة والإخراج الداخلي / محمد محمود السيِّد

تقديم / الكاتب محمد دحروج

تصميم الغلاف / فاطمة وداد

الطبعة الأولى
2021

التفسير الميسر لقصار السور

شركة M.M.E.A.D للطبع والنشر والتوزيع
مطبوعات محمد دحروج - جمهورية مصر العربية

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدكتور حجازي خليل أمين

التفسير الميسّر لقصار السُّور

شركة M.M.E.A.D للطبع والنشر والتوزيع

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إلاَّ سَيَبلى

ويُفنِي الدَّهرُ مَا كَتَبتْ يداهُ

فَلا تكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيرَ شَيْءٍ

يسُرُّكَ في القِيامَةِ أنْ تَراهُ

كِتابٌ قد حوَى دُررًا بعينِ الْحُسْن ملحوظةْ

لهذا قلتُ تنبيهًا : حقوق الطبع محفوظةْ

توطئة وتمهيد

توطئة وتمهيد

الحمد لله الذي أحسن إلينا بأن جعلنا من أهل هذا الكتاب ، شريعةً للناس ، وهُدَى للبريَّة ، وطبًّا للورى ، وعبرةً وتذكرةً لأُولي الألباب ، والصَّلاة والسَّلام على إمام المُتَّقين ، ورسول المؤمنين ، وقائد الغُرِّ المُحجَّلين ، صلاةً لا تفنى ولا تزول ، ولا يُصيبُها وهنٌ أو خمول .

اللهمَّ لك الحمد كلّه ، والشُّكر كلُّه ، نسألك ثباتًا على الحق ، ونُطقًا بالصِّدق ، وعملاً يغفرُ الذنب ، وإيمانًا يعمُر القلب .

أما بعد

فلقد ذكَّرني هذا المشهد ، إذ أشرع الآن في كتابة كلمةٍ عن هذا العمل الذي قد قرأتُ ؛ ذكَّرني بما مرَّ عليَّ منذ عشر سنوات أو أكثر ، إذ وقفتُ بـ « سير أعلام النبلاء » ، [ج ١٣ / ٨٥] ـ نسخة مؤسسة الرسالة ـ ، في ترجمة أبي زُرعة الرازي ، على هذا الخبر :

« أَخْبَرَنَا ابْنُ الخلاَّلِ ، أَخْبَرَنَا الهَمْدَانِيُّ ، أَخْبَرَنَا السِّلَفِيُّ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ مَالِكٍ ، أَخْبَرَنَا أَبو يَعْلَى الحَافِظُ ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ عَلِيٍّ الفَرَضِيّ ، سَمِعْتُ القَاسِمَ بنَ مُحَمَّدِ بنِ مَيْمُوْنَ ، سَمِعْتُ عُمَرَ ابنَ مُحَمَّدِ بنِ إِسْحَاقَ الحَافِظَ ، سَمِعْتُ ابْنَ وَارَةَ ، يَقُوْلُ :

حَضَرْتُ أَنَا وَأَبو حَاتِمٍ عِنْدَ وَفَاةِ أَبِي زُرْعَةَ ، فَقُلْنَا : كَيْفَ تُلَقِّنُ مِثلَ أَبِي زُرْعَةَ ؟

فَقُلْتُ : حَدَّثَنا أَبو عَاصِمٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الحَمِيْدِ بنُ جَعْفَرٍ .

وَقَالَ أَبو حَاتِمٍ : حَدَّثَنا بُنْدَارُ فِي آخَرِيْنَ، حَدَّثَنَا أَبو عَاصِمٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الحمِيْدِ ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ :

حَدَّثَنا بُنْدَارُ ، حَدَّثَنا أَبو عَاصِمٍ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الحَمِيدِ ، حَدَّثَنَا صَالِحُ بنُ أَبِي عَرِيْبٍ ، عَنْ كَثِيْرِ ابنِ مُرَّةَ ، عَنْ مُعَاذٍ ، قالَ :

قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عليْهِ وَسَلَّمَ ـ : ﴿ مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ : لاَ إِلهَ إِلاَّ الله ﴾

وَخَرَجَ رُوحُهُ مَعَهُ .)) .

وما تذكَّرتُ ذلك إلاَّ لأني تأملتُ معنى الثقافة العربية التي هي جرثومة هذه الحضارة وأصلها فإذا الدِّينُ هو ذروة سنام هذا الأمر كلِّه ، فمن ظنَّ أنَّ الخلود يكون بموضع غير السَّماء فقد لعبتْ بعقله شياطين الإنس والجنِّ وغيَّبته عن الحقيقة التي تتقازم أمامها كلُّ الحقائق = وإذا سلَّمنا بذلك وعملنا لِمَا أُعِدَّ لنا هنالك فقد صار القرآن كُنْهَ المراد وغاية الغايات .

ولقد قرأتُ كتاب الدكتور حجازي خليل أمين ؛ فعلمتُ أنَّ الرجل علم أنَّ الأُمَّة تعاني في هذا العهد سقوطًا أخلاقيًّا وانحدارًا ثقافيًّا ، إذ انتشرت الموبقات وأخذ الإلحاد يزحف على بلاد المسلمين في كآفة الأمصار ، ما تخلو منه مدينة كبيرة أو قرية صغيرة ، وإلى الله المشتكى ؛ فكان هذا الجهد المبارك ، أراد به أنْ تقبل جمهرة الناس من جديد على دين ربِّها ، ولا يكون ذلك إلاَّ بوضع لَبِنَةٍ إثر أُخرى بأسلوبٍ مُيسَّرٍ يتوافق والغرض الذي رغبَ إليه .

لم يُرِد الكاتب أنْ يتوسَّع لأنَّ المقصد هو سواد الناس ، وبان ذلك من اختياره للموضوع ، قصار السُّور ، فذكر ما يحتاج إليه المسلم في أمر دينه من وراء كلِّ سُورة من هذه القصار ، غير أنه أبى إلاَّ أنْ يتمسَّك بالأمانة العلمية على أنَّ الموضوع ما جُعِلَ إلاَّ لعامَّة الخَلْقِ ـ وإنْ كنَّا نعلم أنَّ المثقَّف لن يعدم الفائدة من وراء مطالعة هذا العمل النافع إن شاء الله ـ ؛ فتراه يعزو القول إلى صاحبه ومصدره غير مبالٍ بما يفعله المستكثرون بالباطل رغبةً في التهويل على القرَّاء إذ يغصبُ أحدهُم جهد معاصرٍ أو متقدِّمٍ ثمَّ يخرج في زيِّ العالم وقد نسيَ أنه أخذ ما ليس له وتزيَّا بثوبٍ مُستعارٍ زاعمًا أنه من كيسه ومن قُماشته ؛ غير أنَّ صاحب هذا الكتاب أراد الثواب دون الطنطنة الفارغة ، وهذا ديدن المصلحين من أهل العلم والمعرفة .

أسأل الله أن يُقيِّض لهذا العمل القبول والسَّيرورة ، وأن يكتب لصانعه أجرًا ، ويضع به عنه وزرًا ، وربُّنا وليُّ ذلك والقادر عليه ، إنه بكلِّ جميلٍ كفيل ، وهو حسبُنا ونعم الوكيل .

وكتب

محمد محمود دحروج

رئيس مجلس إدارة شركة M.M.E.A.D

فجر الحادي والثلاثين من يناير 2021

بين يدي المجموعة

بين يدي الجماعة

معنى الاستعاذة في كلام العرب : الاستجارة والتحيُّز إلى الشيء ، على معنى الامتناع به من المكروه ، يقال : عُذتُ بفُلانٍ واستعذتُ به ، أي لجأتُ إليه ، فهو عياذِي أي ملجئي . وأعَذتُ غيري به وعَوَّذتُه كلاهما بمعنىً ، ويقالُ : عَوْذٌ باللَّهِ مِنكَ ، أَيْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، وَسُمِّيَ الشَّيْطَانُ شَيْطَانًا لِبُعْدِهِ عن الحق وتمرُّده، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ عَاتٍ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ وَالدَّوَابِّ يجبُ الاستعاذةُ منه ومن شرِّه ، والشيْطَانُ الرَّجِيمُ أَيِ الْمُبْعَدُ مِنَ الخيرِ الْمُهَانُ . كما في تفسير القرطبي رحمه الله . .

قال الإمام ابن الجوزيّ ـ رحمه الله ـ في تفسيره ((زاد المسير)) :

قد أمر الله عزّ وجلّ بالاستعاذة عند القراءة بقوله تعالى: ﴿ فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ (٩٨) ﴾ ـ النحل ـ ، ومعناه : إذا أردت القراءة . ومعنى أعوذ : ألجأ وألوذ .

وقال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره :

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالِاسْتِعَاذَةِ عِنْدَ أَوَّلِ كُلِّ قِرَاءَةٍ فَقَالَ تَعَالَى: " فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ " أَيْ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقْرَأَ ، فَأَوْقَعَ الْمَاضِيَ مَوْقِعَ الْمُسْتَقْبَلِ.

حكم الاستعاذة :

هَذَا الْأَمْرُ عَلَى النَّدْبِ ـ ومعني الندب أو المندوب : ما يطلب فعله من غير إلزام ـ فِي قَوْلِ الجمْهُورِ فِي كُلِّ قِرَاءَةٍ فِي غَيْرِ الصَّلاَةِ . وَاخْتَلَفُوا فيهِ فِي الصَّلاَةِ . حَكَى النقَّاشُ عَنْ عَطَاءٍ : أَنَّ الاِسْتِعَاذَةَ وَاجِبَةٌ . وَكَانَ ابْنُ سِيرِينَ وَالنَّخَعِيُّ وَقَوْمٌ يَتَعَوَّذُونَ فِي الصَّلاَةِ كُلَّ رَكْعَةٍ وَيَمْتَثِلُونَ أَمْرَ اللَّهِ فِي الاِسْتِعَاذَةِ عَلَى الْعُمُومِ ، وَأَبو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ يَتَعَوَّذَانِ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى مِنَ الصَّلاَةِ وَيَرِيَانِ قِرَاءَةَ الصَّلاَةِ كُلِّهَا كَقِرَاءَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَمَالِكٌ لَا يَرَى التَّعَوُّذَ فِي الصَّلاَةِ المفْرُوضَةِ وَيَرَاهُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ .

أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ التَّعَوُّذَ لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَا آيَةً مِنْهُ ، وَهُوَ قَوْلُ الْقَارِئ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . وَهَذَا اللَّفْظُ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الجمْهُورُ مِنَ العلماءِ في التعوُّذ لأنه لَفْظُ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى .

فضل التعوذ :

رَوَى مسلم عن سليمان بن صرد ، قال : استب رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجعل أحدهما يغضب ويحمرُّ وجهه وتنتفخ أوداجه ، فنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : " إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ "، فقام إلى الرجل مِمَّنْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : هَلْ تدري ما قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آنِفًا ؟ ، قَالَ : " إِنِّي لِأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنهُ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ "، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَمَجْنُونًا تَرَانِي ؟ .

وكذلك أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

كذلك هي علاج من يجد وسوسة في صلاته :

فقد رَوَى مُسْلِمٌ أَيْضًا عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إنَّ الشيطان قد حَال بَيْنِي وَبَيْنَ صَلاَتِي وَقِرَاءَتِي يُلْبِّسُهَا عَلَيَّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ ؛ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فتعوَّذ مِنهُ وَاتْفُلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلاثًا " ؛ قَالَ : فَفَعَلْتُ ؛ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي.

فضل الفاتحة :

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره :

يُقَالُ لَهَا: الْفَاتِحَةُ ، أَيْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ خَطًّا ، وَبِهَا تُفتَحُ الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلاَةِ ، وَيُقالُ لَهَا أَيضًا : أُمُّ الْكِتَابِ عِنْدَ الجمْهُورِ .

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الحدِيثِ الصَّحِيحِ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الحمْدُ لِلَّهِ أُمُّ الْقُرْآنِ ، وَأُمُّ الْكِتَابِ ، وَالسَّبْعُ المثَانِي ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ " .

وَيُقَالُ لَهَا : الحمْدُ ، وَيُقَالُ لَهَا : الصَّلاةُ ؛ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ رَبِّهِ : " قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : الحمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ اللَّهُ : حَمِدَنِي عَبْدِي " الْحَدِيثَ . فَسُمِّيَتِ الْفَاتِحَةُ: صَلاةً؛ لِأَنَّهَا شَرْطٌ فِيهَا . وَيُقالُ لَهَا : الشِّفَاءُ ؛ لِمَا رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا : " فَاتِحَةُ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ سُمٍّ ". وَيُقَالُ لَهَا: الرُّقيَةُ ؛ لِحدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ فِي الصَّحِيحِ حِينَ رَقَى بِهَا الرَّجُلَ السَّلِيمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقيَةٌ ؟ " . وَرَوَى الشَّعْبِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سَمَّاهَا : أَسَاسَ القُرآنِ ، قَالَ : فَأَسَاسُهَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَسَمَّاهَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : الْوَاقِيَةُ . وَسَمَّاهَا يَحيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ : الْكَافِيَةُ ؛ لِأَنَّهَا تَكْفِي عَمَّا عَدَاهَا وَلَا يَكْفِي مَا سِوَاهَا عَنْهَا ، كَما جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ الْمُرْسَلَةِ : " أُمُّ الْقُرْآنِ عِوَضٌ مِنْ غَيْرِهَا ، وَلَيْسَ غَيْرُهَا عِوَضًا عَنْهَا " ، وَيُقَالُ لَهَا : سُورَةُ الصَّلاَةِ وَالْكَنْزِ ، ذَكَرَهُمَا الزَّمَخْشَرِيُّ فِي كَشَّافِهِ . وَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَأَبو الْعَالِيَةِ ، وَقِيلَ مَدَنِيَّةٌ ، قَالَهُ أَبو هُرَيْرَةَ وَمُجَاهِدٌ وَعَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ وَالزُّهْرِيُّ . وَيُقَالُ : نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ : مَرَّةً بِمَكَّةَ ، وَمَرَّةً بِالمدِينَةِ ، وَالْأَوَّلُ أَشْبَهُ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ المَثَانِي } [الحِجْرِ: ٨٧] .

قَالَ البُخَارِيُّ فِي أَوَّلِ كتابِ التفسير :

وسُمِّيت أمُّ الكُتب، أنه يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي المصَاحِفِ وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلاَةِ ، وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِرُجُوعِ مَعَانِي القُرآنِ كُلِّهِ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ .

وَيُقَالُ لَها أَيضًا: الفاتِحةُ ؛ لِأَنَّها تُفتَتَحُ بِهَا القِرَاءَةُ ، وَافْتَتَحَتِ الصَّحَابةُ بِهَا كِتَابَةَ المصْحَفِ الْإِمَامِ ، وَصَحَّ تَسْمِيَتُهَا بِالسَّبْعِ المثَانِي ، قَالُوا : لِأَنَّهَا تُثَنَّى فِي الصَّلاَةِ ، فتُقرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ، وروي الإمام احمد في مُسندِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِأُمِّ القُرآنِ : " هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ ، وَهِيَ السَّبْعُ المثَانِي ، وَهِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ " ، روي الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الفُرْقَانِ مِثْلَهَا ؛ إِنَّهَا السَّبْعُ المثاني " .

سورة الفاتحة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) . ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

قوله : بِسْمِ اللَّهِ ، تَقْدِيرُهُ : أَبْدَأُ بِسْمِ اللَّهِ ، أَوْ : قُلْ بِسْمِ اللَّهِ .

و (اللَّه) هُوَ اسْمُ عَلَمٍ خَاصٌّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا اشْتِقَاقَ لَهُ كَأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ لِلْعِبَادِ .

(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى وجه المبالغة، و {رحمن} أشدُّ مبالغة من {رحيم} ، قال ابن جرير : { الرحمن } لجميع الخلق ، { الرَّحِيمِ } بالمؤمنين .

والحاصِلُ أَنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى مَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ ، وَمِنْهَا مَا لَا يُسَمَّى بِهِ غيرُه كاسم (الله) و (الرحمن) و (الخالق) و (الرازَّق) ، ونحو ذلك ، وأما (الرحيم) ؛ فإنَّ الله وصف به غيره ؛ حيث قال في حقّ النبي: { بالمؤمنين رءوفٌ رَّحِيمٌ } ، كما وصف غيره ببعض أسمائه ؛ فقال في حق الإنسان : { فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } .

(الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٢)

لَفْظُهُ خَبَرٌ كَأَنَّهُ يُخْبِرُ أَنَّ الْمُسْتَحِقَّ لِلْحَمْدِ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَفِيهِ تَعْلِيمُ الخَلْقِ ، تَقْدِيرَهُ : قُولُوا الحمْدُ لِلَّهِ ، وَالحمْدُ يَكُونُ بِمَعْنَى الشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ وَيَكُونُ بِمَعْنَى الثَّنَاءِ

عَلَيْهِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ ، وَقِيلَ : الحمْدُ بِاللِّسَانِ قَوْلًا وَالشُّكْرُ بِالْأَرْكَانِ فِعْلاً .

قَوْلُهُ : (لِلَّهِ) ، اللاَّمُ فِيهِ لِلاسْتِحْقَاقِ ، كَمَا يُقَالُ : الدَّارُ لِزَيْدٍ .

قَوْلُهُ: (رَبِّ الْعالَمِينَ) ، فَالرَّبُّ يَكُونُ بِمَعْنَى الْمَالِكِ كَمَا يُقَالُ لِمَالِكِ الدَّارِ: رَبُّ الدَّارِ، وَيُقَالُ : رَبُّ الشَّيْءِ إِذَا مَلَكَهُ ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّرْبِيَةِ وَالْإِصْلاَحِ ، يُقَالُ: رَبَّ فلانٌ الصنعة يَرُبُّهَا ؛ إِذَا أَتَمَّهَا وَأَصْلَحَهَا ، فَهُوَ رَبٌّ ، مِثْلَ طَبَّ وَبَرَّ ، فَاللَّهُ تَعَالَى مَالِكُ الْعَالَمِينَ وَمُرَبِّيهِمْ ، وَلَا يُقَالُ لِلْمَخْلُوقِ : هُوَ الرَّبُّ مُعَرَّفًا ؛ إِنَّمَا يُقَالُ : رَبُّ كَذَا مُضَافًا ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللاَّمَ لِلتَّعْمِيمِ ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ الْكُلَّ ، وَالْعَالَمِينَ : جَمْعُ عالم ، والعالم جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لفظه ، وهو جميع المخلوقين .

(الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) (٣) ، سبق تفسيرها في البسملة .

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (٤) ؛ قال الإمام الواحديُّ في الوجيز : مأخوذٌ من المِلْكِ والمِلْكُ مأخوذٌ من المُلْك ؛ أَيْ : قاضي يوم الجزاء والحساب؛ لأنه متفرِّدٌ في ذلك اليوم بالحكم .

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (٥) ... { إِيَّاك نعبُدُ} أَيْ نخُصُّكَ ونقصدُكَ بالعبادة وهي الطَّاعة مع الخضوع ، {وإِيَّاكَ نستعين} : ومنك نطلب المعونة ، وقال الإمام أبو المظفَّر السِّمعاني قَوْله : { إياك نعْبُد} بِمَعْنى نَحن نعبدُك ، وَالْعِبَادَةُ : هِيَ الطَّاعَةُ مَعَ التذلُّل والخضوع ، يُقَال : طَرِيق مُعبَّد : أَي مُذلَّل ، وَمَعْنَاهُ : نعبدُك خاضعين .

{ وَإِيَّاك نستعين } ، أَي : نطلب مِنْك المعونة .

{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } (٦) يعْني : أرشدنا ، وثبِّتنا .

وَالهدَايةُ فِي القُرآن على معَان ، فَتكون الْهِدَايَة بِمَعْنى الإلهام وَتَكون بِمَعْنى الْإِرْشَاد، وَتَكون بِمَعْنى الْبَيَان ، وَتَكون بِمَعْنى الدُّعَاء .

أما الإلهام ، قَالَ الله تَعَالَى : {رَبُّنا الَّذِي أعْطى كل شَيْء خلقه ثمَّ هدى } أَي : ألهم .

وَأما الْإِرْشَاد ، قَوْله تَعَالَى : { واهدنا إِلَى سَوَاء الصِّرَاط } .

وَأما البَيَان قَوْله : { وَأمَّا ثَمُودُ فهديناهم} ، أَي : بَينَّا لَهُم .

وَأما الدُّعَاء ، مثل قَوْله تَعَالَى : { وَلكُلِّ قوم هاد } أَي: دَاعٍ ؛ فَهُوَ بِمَعْنى الاسترشاد هَا هُنَا .

وَأما { الصِّرَاط المُسْتَقيم } ، قَالَ عَليّ ، وَابْن مَسْعُود : هُوَ الْإِسْلاَم . وَقَالَ جَابر : هُوَ القُرآن ، وَأَصله فِي اللُّغَة الطَّرِيق الْوَاضِح ، وَالْإِسْلاَم طَرِيقٌ وَاضحٌ ، وَالقُرآن طَرِيقٌ وَاضحٌ .

{ صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ } (٧) .

{ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } ؛ مُفَسِّرٌ لِلصِّرَاطِ المسْتَقِيمِ .

وَ { الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } ؛ هُمُ المذْكُورُونَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ ، حَيْثُ قَالَ: { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا} [النِّسَاءِ : ٦٩ ، ٧٠] .

وَقَالَ الضَّحَّاكُ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِطَاعَتِكَ وَعِبَادَتِكَ ،

مِنْ مَلاَئِكَتِكَ ، وَأَنْبِيَائِكَ ، وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ؛ وَذَلِكَ نَظِيرُ مَا قَالَ رَبُّنَا تَعَالَى : { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } ، الْآيَةَ [النِّسَاءِ : ٦٩] .

فائدة في التأمين خلف الإمام :

وَالسُّنَّةُ لِلْقَارِئِ أَنْ يَقُولَ بَعْدَ فَرَاغِهِ من قراءة الفاتحة : (آمين) مفصولاً عن الفاتحة بسكتة ، وهو مخفَّف ، ويجوز مَمْدُودًا وَمَقْصُورًا ، وَمَعْنَاهُ : اللَّهُمَّ اسْمَعْ وَاسْتَجِبْ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِذَا قَالَ الْإِمَامُ : غَيْرِ المغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ، فَقُولُوا : آمِينَ ؛ فَإِنَّ الملائكة يقولون آمِينَ ، وَإِنَّ الْإِمَامَ يَقُولُ : آمِينَ ، فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذنبه) ، وهو في الصحيحين .

قال الإمام ابن عطيَّة في تفسيره «الوجيز» :

كلُّ داعٍ ينبغي له في آخر دُعائه أن يقول: ﴿ آمين ﴾ وكذلك كل قارئ للحمد في غير صلاة ، لكن ليس بجهر الترتيل .

وأما في الصلاة ؛ فقال بعض العلماء :

﴿ يقولها كل مصلٍّ من إمام وفذٍّ ومأموم قرأها أو سمعها ﴾ . وقال مالك في المدوَّنة : ﴿ لا يقول الإمام : آمين ؛ ولكن يقولها من خلفه ويُخفون ، ويقولها الفذُّ ﴾ .

وقد رُوي عن مالك رضي الله عنه : أنَّ الإمام يقولها أسرَّ أو جهر .

وروي عنه : الإمام لا يُؤمِّن في الجهر .

وقال ابن حبيب : يُؤمِّن .

وقال ابن بكير : هو مُخيَّر .

قال ابن عطية رحمه الله :

فهذا الخلاف إنما هو في الإمام ؛ ولم يختلف في الفذِّ ولا في المأموم إلا ابنُ نافع . قال في كتاب ابن حارث : ﴿ لا يقولها المأموم إلا إن سمع الإمام يقول : وَلَا الضَّالِّينَ ، وإذا كان ببُعدٍ لا يسمعه فلا يقُل ﴾ ، والذي رجَّحته اللجنة الدائمة أن يجهر الإمام والمأموم بالتأمين للحديث الوارد الذي قدَّمناه آنفًا .

والله أعلي وأعلم .

سورة الضحى (٩٣)

﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) ﴾ .

مكية ، وهي إحدى عشرة آية .

سبب نزولها :

أخرج البخاريُّ وأحمد ومسلم والترمذي والنَّسَائِيُّ عن جندب بن سفيان ـ رضي الله عنه ـ قال : اشتكى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا ، فجاءت امرأة ، فقالت : يا محمد ، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أَرَه قَرِبكَ منذ ليلتين أو ثلاثاً ! ، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ : { وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) } .

وفي لفظ لمسلم عن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قال أبطأ جبريل على رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ؛ فقال المشركون : قد وُدِّعَ محمد ! ؛ فأنزل الله عزَّ وجلَّ :

وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)

قال الإمام الرازي في تفسيره «مفاتيح الغيب» :

لِأَهْلِ التَّفسِيرِ فِي قَوْلِهِ { وَالضُّحى } وَجْهَانِ : أَحَدُهُمَا : أَنَّ المرَادَ بِالضُّحَى وَقْتُ الضُّحَى وَهُوَ صَدْرُ النَّهَارِ حِينَ تَرْتَفِعُ الشَّمْسُ وَتُلْقِي شُعَاعَهَا ، وَثَانِيهَا : الضُّحَى هُوَ النَّهَارُ كُلُّهُ بِدَلِيلِ أَنَّهُ جُعِلَ فِي مُقَابلَةِ اللَّيْلِ كُلِّهِ .

{ والليل إذا سجى } سكن بالخلق واستقرَّ بظلامه كما قال الإمام الواحدي في تفسيره الوجيز .

وَقَوْلُهُ : { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ } ، أَيْ : مَا تَرَكَكَ ، { وَمَا قَلَى } ، أَيْ : وَما أَبْغَضَكَ ، { وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأولَى } ، أَيْ : وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ .

وَقَوْلُهُ : { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى } ، أَيْ : فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ يُعْطِيهِ حَتَّى يُرْضِيه فِي أُمَّتِهِ ، وَفِيمَا أعدَّه لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ ، وَمِنْ جُمْلَتِهِ نَهْرُ الْكَوْثَرِ الَّذِي حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ ، وَطِينُهُ مِنْ مِسْكٍ أَذْفَرَ ـ كَمَا سَيَأْتِي في تفسير سورة الكوثر ـ .

{ أَلَمْ يَجِدك } ، اِسْتِفْهَام تَقْرِير ، أَيْ وَجَدَك { يَتِيمًا } بِفَقْدِ أَبِيك قَبْل وِلَادَتك أَوْ بَعْدهَا { فَآوَى } ، بِأَنْ ضَمَّك إِلَى عَمّك أَبِي طَالِب .

{ وَوَجَدَكَ ضَالًّا } عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ الشَّرِيعَة ، { فَهَدَى } ، أَيْ هَدَاك إِلَيْهَا .

{ وَوَجَدَكَ عَائِلاً } فَقِيرًا ، { فَأَغْنَى } ، أَغْنَاك بِمَا قَنَّعَك بِهِ مِنْ الْغَنِيمَة وَغَيْرهَا ، وَفِي الْحَدِيث : لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَة الْعَرَضِ وَلكِنَّ الْغِنَى غِنَى النفس .

{ فَأَمَّا الْيَتِيم فَلاَ تَقْهَر } ، بِأَخْذِ مَاله أَوْ غَيْر ذَلِك .

{ وَأَمَّا السَّائِل فَلاَ تَنْهَر } ، أي لا تَزْجُرهُ لِفَقْرِهِ .

{ وَأَمَّا بنعمة ربك } عليك بالنبوة وغيره ، { فَحَدِّثْ } أَخْبِرْ .

ـ انظر من تفسير الجلالين ـ

سورة الشرح (٩٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

{ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨) }

مَكِّيَّةٌ ، وَهِيَ ثَمَانِي آياتٍ .

يَقُولُ تَعَالَى : { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } يَعْنِي : أَمَا شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ ، أَيْ: نَوَّرْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ فَسيحًا رَحِيبًا وَاسِعًا .

وَقَوْلُهُ : { وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ } بِمَعْنَى : { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } [الْفَتْحِ : ٢] { الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ } ، الانْقَاضُ : الصَّوْتُ . وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ : { الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ } أَيْ : أَثْقَلَكَ حَمْلُهُ .

وَقَوْلُهُ : { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } ، قَالَ مُجَاهِدٌ : لَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرتَ مَعِي : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه .

وَقَالَ قَتَادَةُ : رَفَعَ اللهُ ذكرَه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتشهدٌ وَلَا صاحبُ صَلاَةٍ إِلَّا يُنَادِي بِهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه .

وَقَوْلُهُ : { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يوجَدُ

الْيُسْرُ ، ثُمَّ أَكَّدَ هَذَا الخبَرَ .

وَقَوْلُهُ : { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ } أَيْ : إِذَا فَرغت مِنْ أُمُورِ الدُّنْيا وَأَشْغَالِها وَقَطَعْتَ عَلاَئِقَهَا ؛ فَانْصَبْ فِي الْعِبَادَةِ ، وَقُمْ إِلَيْهَا نَشِيطًا فَارِغَ الْبَالِ ، وَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ النِّـيَّةَ وَالرَّغْبَةَ .

قَالَ مُجَاهِدٌ فِي هَذِهِ الآيةِ : إِذَا فَرَغْتَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا فَقُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ ؛ فَانْصَبْ لِرَبِّكَ ، وَفِي رِوَايةٍ عَنهُ : إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَانْصَبْ فِي حَاجَتِكَ، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: إِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْفَرَائِضِ فَانْصَبْ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ . وَعَنِ ابْنِ عِيَاضٍ نَحْوُهُ . وَفِي رِوَايةٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ : { فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ } بَعْدَ فَرَاغِكَ مِنَ الصَّلاَةِ وَأَنْتَ جَالِسٌ .

سورة التيـن (٩٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨) }

مكية :

{ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ (٣) }

قال ابن عبَّاس والحسن ومجاهد وعكرمة وإبراهيم وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل: هو التِّينِ الذي يؤكل وَالزَّيْتُونِ الذي يُعصر ، هكذا قال الإمام ابن عطيَّة في تفسيره المحرَّر الوجيز .

وقال أبو حيان في البحر المحيط : التِّينُ: هُوَ الْفَاكِهَةُ المعرُوفَةُ .

وَهذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ : هُوَ مَكَّةُ .

وَمَعْنَى الْقَسَمِ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِبانَةُ شَرَفِهَا وَمَا ظَهَرَ فِيهَا مِنَ الخيْرِ بِسُكْنَى الْأَنبياءِ وَالصَّالِحِينَ ـ البحر المحيط ـ .

وقال الإمام الشَّوكانيُّ رحمه الله : قال أَكثرُ الْمُفسِّرِينَ : هُوَ التِّينُ الَّذِي يأكُلُهُ النَّاسُ والزَّيتُونُ الَّذِي يَعْصِرُونَ مِنهُ الزَّيْتَ ، وَإِنَّمَا أَقْسَمَ بِالتِّينِ لِأَنَّهُ فَاكِهَةٌ مُخلَصَةٌ مِنْ شَوَائِبِ

التَّنْغِيصِ ، وَفِيهَا أَعْظَمُ عِبرَةٍ لِدَلَالَتِهَا عَلَى مَنْ هَيَّأَهَا لِذَلِكَ ، وَجَعَلَهَا عَلَى مِقدَارِ اللُّقْمَةِ .

قَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الطِّبِّ : إنَّ التين أنفع الفواكه وَأكثَرُهَا غِذَاءً، وَذَكَرُوا لَهُ فَوَائِدَ كَمَا فِي كُتُبِ الْمُفْرَدَاتِ وَالْمُرَكَّبَاتِ ، وَأَمَّا الزَّيْتُونُ فَإِنَّهُ يُعْصَرُ مِنْهُ الزَّيْتُ الَّذِي هُوَ إِدَامُ غَالِبِ البُلْدَانِ وَدَهْنُهُم ، وَيَدْخُلُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَدْوِيةِ .

ـ وليعلم القارئ الكريم أنني عدلت عن اختلافات المفسِّرين في تفسير التين والزيتون وطور سينين لأنَّ الاسم واضح من اللغة العربية ولا يحتاج إلى كل هذا الاختلاف ؛ وليس هذ كلامي فقط وإنما وجدت الإمام الشوكاني رحمه الله يقول هذا الكلام ؛ فقال رحمه الله : وَلَيْتَ شِعْرِي مَا الحامِلُ لهؤلَاءِ الأَئِمَّةِ عَلَى العُدُولِ عَنِ المعْنَى الحقِيقِيِّ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَالعُدُولِ إِلَى هَذِهِ التَّفسِيرَاتِ الْبَعِيدَةِ عَنِ المعْنَى المبْنِيَّةِ عَلَى خَيَالَاتٍ لَا تَرْجِعُ إِلَى عَقْلٍ وَلَا نَقْلٍ . انتهي كلامه رحمه الله .

قال القرطبيُّ : والصَّحيحُ الأولُ ـ أي فاكهة التين والزيتون المعروف ـ لأنه الحقيقة ، ولا يُعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل .

وَطُورِ سِينِينَ هُوَ الجبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى ، اسمه الطور .

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ : هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ أَيْ : خَلَقْنَا جِنْسَ الإِنسَانِ كَائِنًا فِي أَحْسَنِ تقْوِيمٍ وَتَعْدِيلٍ . قَالَ الْوَاحِدِيُّ : قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ ذِي رُوحٍ مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ إِلَّا الْإِنْسَانَ ، خَلَقَهُ مَدِيدَ الْقَامَةِ يَتَنَاوَلُ مَأْكُولَهُ بِيَدِهِ ، وَمَعْنَى

التَّقْوِيم : التَّعْدِيلُ ، يُقَالُ : قَوَّمْتُهُ فَاسْتَقَامَ .

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ ، أَيْ : رَدَدْنَاهُ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَهُوَ الهَرَمُ وَالضَّعْفُ بَعْدَ الشَّبَابِ وَالقُوَّةِ حَتَّى يَصِيرَ كَالصَّبِيِّ فَيخْرُفُ وَيَنقُصُ عَقْلُهُ ، كَذَا قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ . قَالَ الْوَاحِدِيُّ : وَالسَّافِلُونَ : هُمُ الضُّعَفَاءُ وَالزَّمَنَاءُ وَالْأَطْفالُ ، وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ أَسْفَلُ هَؤلَاءِ جَمِيعًا . (فتح القدير) .

وَقَالَ إِبْرَاهِيم وَالضَّحَّاك وَجَمَاعَة : ثمَّ رددناه أَسْفَل سافلين : هُوَ أرذل الْعُمُر ، والسافلون هم الضُّعَفَاءُ والمرضى والشُّيوخ العجزة . (تفسير السمعاني) .

{ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) } وَقَوله : { إِلَّا الَّذين آمنُوا } ، الِاسْتِثْنَاء مُشكل فِي هَذِه السُّورَة ، فعلى قَول الْحسن وَمُجاهد يكون الِاسْتِثْنَاء ظَاهرًا وَالمعْنَى : ردَّ النَّاس إِلَى النَّار إِلَّا من آمن وَعمل صَالحًا فَإِنَّهُ لَا يرد إِلَى النَّار ، وَمعنى الْإِنسَان : النَّاس .

وَأما على قَول إِبْرَاهِيم وَالضَّحَّاك فالاستثناء مُشكل على هَذَا القَوْل ، قَالَه النحَّاس .

وَالْمَعْنَى على هَذَا إِلَّا : الَّذين آمنُوا فَلاَ يُردُّون إِلَى أرذل الْعُمُر ، وَمَعْنَاهُ : أَنه يكتبُ لهُم أَعْمَالهم الصَّالِحَة بعد الْهَرم على مَا كَانُوا يعملونها فِي حَالَة الشَّبَاب وَإِن عجزوا عَنْهَا ، فكأنهم لم يُردُّوا إِلَى أرذل الْعُمُر ، وَقد حُكى معنى هَذَا عَن إِبْرَاهِيم ، ورُوِيَ ذَلِك مَرْفُوعًا فِي بعض الْأَخْبَار إِلَى الرَّسُول .

وَقَوله : { فَلهم أجر غير ممنون } ، فِيهِ قَولَانِ :

أَحدهمَا : لَا يمتنُّ بِهِ عَلَيْهِم أحدٌ ـ سوى الله ـ منَّةً تُـكدِّر النِّعْمَة عَلَيْهِم .

وَالْقَوْل المعْرُوف : غير مَقْطُوع وَهُوَ مؤيِّد لما ذَكرْنَاهُ من التَّأْوِيل . تفسير السمعاني .

{ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) }

المعْنى : فَمَا يكذبك أَيهَا الشَّاك بِيَوْم الْحساب بعد مَا شاهدت من قدرَة الله تَعَالَى مَا شاهدت ، هَذَا هُوَ القَوْل المعْرُوف .

وَفِي الْآية قَول آخر : أَنَّ مَعْنَاهُ : فَمن يكذِّبك بعد بِالدِّينِ على خطاب النَّبِي ، أَي : من الَّذِي يكذبك بِيَوْم الحساب بعد أَن ظهر من الْبَرَاهِين والآيات مَا ظهر ، ذكره أَبو معَاذ النَّحْوِيُّ ، القَوْل الأول أولى ؛ لِأَنَّ مَا بِمَعْنى من ، يبعد فِي اللُّغَة . تفسير السمعاني .

{ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨) }

فَمَا يُكَذِّبُكَ ، أي فأيُّ شيء يكذِّبك يا محمد دلالةً أو نطقًا . بَعْدُ بِالدِّينِ : بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل ، وقيل ﴿ ما ﴾ بمعنى من ، وقيل الخطاب للإنسان على الالتفات، والمعنى : فما الذي يحملك على هذا الكذب .

{ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ } تحقيق لما سبق .

والمعنى أليس الذي فعل ذلك من الخلق والردِّ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ صُنعًا وتدبيرًا ومن كان كذلك كان قادرًا على الإعادة والجزاء على ما مرَّ مرارًا . تفسير البيضاوي .

سورة العلق (٩٦)

مكية وآياتها ١٩ ، وهي أول ما نزل من القرآن .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلاَّ لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩) } .

هذه السورة أيها القارئ الكريم هي أول ما نزل علي رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم من القرآن في غار حراء كما تعرفون ، وأكثر المفسِّرين على أنَّ هذه أول سورة نزلت من القرآن ، وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله : (ما لم يعلم) .

كما قالت أُمُّنا عائشة رضي الله عنها: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنَّث فيه ، وهو التعبُّد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزوَّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزوَّد لمثلها ؛ حتى جاءه

الحق وهو في غار حراء ؛ فجاءه الملك فقال : اقرأ ، فقال : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال: اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني ، فقال : { اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) }، وذكرتِ الحديث وهو في الصحيحين .

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) : وَالمعْنَى : اذْكُرِ اسْمَهُ ، أُمِرَ أَنْ يَبْتَدِئَ الْقِرَاءَةَ بِاسْمِ اللَّهِ تَأْدِيبًا .

(الَّذِي خَلَقَ) : قَالَ الْكَلْبِيُّ : يَعْنِي الْخَلَائِقَ .

(خَلَقَ الْإِنْسانَ) : يعني ابْنَ آدَمَ .

(مِنْ عَلَقٍ) ، جَمْعُ عَلَقَةٍ .

(اقْرَأْ) : كَرَّرَهُ تَأْكِيدًا ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ ؛ فَقَالَ: { وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ } ، فَقَالَ الْكَلْبِيُّ : الحلِيمُ عَنْ جَهْلِ الْعِبَادِ لَا يَعْجَلُ عَلَيْهِمْ بِالْعُقُوبَةِ .

(الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) : يَعْنِي الْخَطَّ وَالْكِتَابَةَ .

(عَلَّمَ الْإِنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) : مِنْ أَنْوَاعِ الْهُدَى وَالْبَيَانِ . وَقِيلَ : عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا. وَقِيلَ : الْإِنْسَانُ هَا هُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيَانُهُ : وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ .

(كَلاَّ) : حَقًّا .

(إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى) : لَيَتَجَاوَزُ حَدَّهُ وَيَسْتَكْبِرُ عَلَى رَبِّهِ .

(أَنْ) : لِأَنْ ، (رَآهُ اسْتَغْنى) : أَنْ رَأَى نَفْسَهُ غَنِيًّا ، قَالَ الْكَلْبِيُّ: يَرْتَفِعُ عَنْ مَنْزِلَةٍ إِلَى

مَنْزِلَةٍ فِي اللِّبَاسِ وَالطَّعَامِ وَغَيْرِهِمَا ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ كَانَ إِذَا أَصَابَ مَالًا زَادَ فِي ثِيَابِهِ وَمَرْكَبِهِ وَطَعَامِهِ فَذَلِكَ طُغْيَانُهُ .

(إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) : أَيِ المرجع في الآخرة . ـ انظر تفسير البغوي ـ .

{ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْداً إِذا صَلَّى (١٠) } ، نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ لأنه نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلاَةِ .

قوله عزّ وجلّ : { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى } ، معنى أرأيت : تعجيب المخاطب ، وإنما كرَّرها للتأكيد والتعجيب . والمراد بالناهي ها هنا : أبو جهل .

قال أبو هريرة : قال أبو جهل : هل يعفِّر محمَّدٌ وجهه بين أظهركم؟، قالوا : نعم . قال : فبالذي يُحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته . فقيل له : ها هو ذاك يصلي . فانطلق لِيَطَأَ على رقبته ، فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتَّقي بيديه ، فأتوه ، فقالوا : ما لك يا أبا الحكم ؟! ؛ فقال : إنَّ بيني وبينه خندقًا من نار ، وهولاً وأَجْنِحَةً . وقال نبي الله صلّى الله عليه وسلم: ﴿ والذي نفسي بيده لو دنا منِّي لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا ﴾ فأنزل الله تعالى: أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى إلى آخر السورة.

وقال ابن عباس : كان النبيُّ صلّى الله عليه وسلم يصلي ، فجاء أبو جهل ، فقال: ألم أنهك عن هذا ؟! ؛ فانصرف إليه النبيُّ صلّى الله عليه وسلم فَزَبَرَه ـ أي أغلظ له القول ـ فقال أبو جهل: والله إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر منِّي، فأنزل الله تعالى: فَلْيَدْعُ نادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ . قال ابن عباس : والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله .

(قلت) : وهذه الآية وإن كانت نزلت في أبي جهل لعنه الله فهي باقية تَرُدُّ كل من منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعي في خرابها ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال المفسِّرون : والمراد بالعبد ها هنا : محمد صلّى الله عليه وسلم . وقيل : كانت الصلاة صلاة الظُّهر .

قوله عزّ وجلّ : { أَرَأَيْتَ إِنْ كانَ عَلَى الْهُدى } : يعني المنهي وهو النبيّ صلّى الله عليه وسلم .

{ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى } ، يعني : الناهي ، وهو أبو جهل ، قال الفرّاء : والمعنى : أرأيتَ الذي ينهى عبدًا إذا صلَّى، وهو كاذبٌ مُتَوَلٍّ عن الذِّكر ، وأيّ شيء أعجب من هذا ؟!

{ أَلَمْ يَعْلَمْ } يعني أبا جهل ، { بِأَنَّ اللَّهَ يَرى } ذلك فيجازيه . { كَلاَّ } أي : لا يعلم ذلك ، { لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ } عن تكذيب محمد وشتمه وإيذائه { لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ } ، والمعنى : لنجُرنَّ ناصيته إلى النار .

قوله عزّ وجلّ: { كَلاَّ } أي : ليس الأمر على ما عليه أبو جهل ، { لا تُطِعْهُ } في ترك الصلاة ، { وَاسْجُدْ } أي : صَلِّ لله { وَاقْتَرِبْ } إليه بالطاعة ، وهذا قول الجمهور ، أنَّ قوله عزّ وجلّ { وَاقْتَرِبْ } خطاب للنبيّ صلّى الله عليه وسلم .

- زاد المسير لابن الجوزي -

سورة القدر (٩٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَما أَدْراكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) } .

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ ، ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ .

وَحَكَى الْمَاوَرْدِيُّ عَكْسَهُ .

قُلْتُ: وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ الضَّحَّاكِ وَأَحَدِ قَوْلَيْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَذَكَرَ الْوَاقِدَيُّ أَنَّهَا أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بِالمدِينةِ . وَهِيَ خَمْسُ آياتٍ .

قِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِعِظَمِهَا وَقَدْرِهَا وَشَرَفِهَا { لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ } ، وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ : أَيِ الْعَمَلُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ .

وَقَالَ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ الْقَاسِمِ وغيره : سمعت مَنْ أَثِقُ بِهِ يَقُولُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيَ أَعْمَارَ الْأُمَمِ قَبْلَهُ ، فَكَأَنَّهُ تَقَاصَرَ أَعْمَارَ أُمَّتِهِ أَلاَّ يَبْلُغُوا مِنَ الْعَمَلِ مِثْلَ مَا بَلَغَ غَيْرُهُمْ فِي طُولِ الْعُمُرِ ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَجَعَلَهَا خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ .تفسير القرطبي. .

وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ تَعْدِلُ عِبَادَتُهَا عِبَادَةَ أَلْفِ شَهْرٍ ؛ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِهِ " .

وَقَوْلُهُ : { تَنزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ } ، أَيْ : يَكْثُرُ تَنزُّلُ الْمَلائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا ، وَالملائِكَةُ يَتَنَزَّلُونَ مَعَ تَنَزُّلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ ، كَمَا يَتَنَزَّلُونَ عِنْدَ تِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَيُحِيطُونَ بحِلَق الذِّكْرِ ، وَيَضَعُونَ أَجْنِحَتَهُمْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِصِدْقٍ تَعْظِيمًا لَهُ .

وَأَمَّا الرُّوحُ فَقِيلَ : الْمُرَادُ بِهِ هَا هُنَا جِبْرِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ ، وَقَوْلُهُ : { مِنْ كُلِّ أَمْرٍ }، قَالَ مُجَاهِدٌ : سَلامٌ هِيَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . وَقَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ : تُقْضَى فِيهَا الْأُمُورُ ، وَتُقَدَّرُ الْآجَالُ وَالْأَرْزَاقُ .

وَقَوْلُهُ : { سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ } ، وَقَالَ قَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : {سَلامٌ هِيَ } يَعْنِي هِيَ خَيْرٌ كُلُّهَا ، لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ .

وَقَالَ أَبو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ ، حَدَّثَنَا زَمْعَة ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ وَهْرام ، عَنْ عِكْرِمة ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ : " لَيْلَةٌ سَمْحَةٌ طَلْقَةٌ ، لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ ، وَتُصْبِحُ شَمْسُ صَبِيحَتِهَا ضَعِيفَةً حَمْرَاءَ "ـ تفسير الحافظ ابن كثير ـ

سورة البينة

٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨) } .

وهي مكيَّة في قول جمهور المفسرين، وقال ابن الزبير وعطاء بن يسار إنها مدنية ؛ والأول أشهر .

وقوله تعالى : { مُنْفَكِّينَ }، معناه منفصلين متفرقين . قال مجاهد وغيره : لم يكونوا مُنْفَكِّينَ عن الكُفر والضلال حتى جاءتهم البينة ، وأوقع المستقبل موضع الماضي في { تَأْتِيَهُمُ } ؛ لأنَّ باقي الآية وعظمها لم يرده بعد، وقال الفرَّاء وغيره: لم يكونوا مُنْفَكِّينَ عن معرفة صحَّة نبوة محمَّد عليه السلام ؛ حتى جاءتهم البينة تفرَّقوا عند ذلك. والْبَيِّنَةُ

معناه : القصة البيِّنة والجليَّة ، والمراد محمد عليه السلام . والصحف المطهَّرة : القرآن في صحفه .

وقوله عز وجل: { فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ } فيه حذف مضاف تقديره : فيها أحكام كُتبٍ ، وقيِّمة : معناه قائمة معتدلة آخذة للناس بالعدل .

ثم ذكر تعالى مذمَّة من لم يؤمن من أهل الكتاب من بني إسرائيل من أنهم لم يتفرَّقوا في أمر محمد إلا من بعد ما رأوا الآيات الواضحة ، وكانوا من قبل متفقين على نبوته وصفته ؛ فلما جاء من العرب حسدوه .تفسير ابن عطية المحرر الوجيز..

ثم قال عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَالْمُشْرِكِينَ } يعني : الذين جحدوا من اليهود والنصارى بمحمد صلّى الله عليه وسلم وبالقرآن ، ومن مشركي مكة ، وثبتوا على كفرهم { فِي نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها } يعني: دائمين فيها { أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ } يعني : شرُّ الخليقة .

ثم مدح المؤمنين، ووصف أعمالهم، وبيَّن مكانهم في الآخرة، حتى يرغبوا إلى جواره فقال : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ } يعني : صدقوا بالله ، وأخلصوا بقلوبهم وأفعالهم وهم أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلم ومن تابعهم إلى يوم القيامة { أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } يعني : هم خير الخليقة .

ثم بيَّن ثوابهم فقال عز وجل: { جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ } يعني ثوابهم في الآخرة { جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ } يعني : أنهار من الخمر، والعسل، واللبن، وماء غير آسن

{ خالِدِينَ فِيها أَبدًا } يعني : دائمين مقيمين { فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ } بأعمالهم { وَرَضُوا عَنْهُ } بثوابه الجنة { ذلِكَ } يعني : هذا الثواب الذي ذكر { لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ } يعني : وَحَّدَ ربَّه في الدنيا ، واجتنب معاصيه ، والله أعلم . ـ تفسير بحر العلوم للسمرقندي ـ .

سورة الزلزلة

٩٩

ذكر السيوطي في الدر المنثور ٨ / ٥٩٠ عن ابن عباس وعن قتادة أنَّ السورة مدنية .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٩ / ٢٠١ : "وفيها قولان : أحدهما : أنها مدنية، قاله ابن عبَّاس وقتادة ومقاتل والجمهور .

والثاني : مكية ، قاله ابن مسعود ، وجابر ، وعطاء".

والغالب على آياتها خصائص الآيات المكيَّة ، والله أعلم .

والأحاديث الواردة في فضلها كلها ضعيفة أو منكرة ؛ وإنما ورد فيها أقوال للسلف فقط ، وهي :

جاء في "مصنَّف عبد الرزاق" (٣ / ٣٧٢) عن معمر قال: سمعت رجلاً يُحدِّث أنَّ { إذا زلزلت } تعدل شطر القرآن .

وعن جعفر عن هشام بن مسلم ، قال : سمعت بكر بن عبد الله المزني يقول : { إذا زلزلت الأرض } نصف القرآن .

وروى أبو عبيد عن الحسن البصري مرسلاً :

{ إذا زلزلت } تعدل نصف القرآن ، { والعاديات } تعدل نصف القرآن .

ـ انظر " الإتقان" للسيوطي (2 / 413) .

وجاء عن عاصم بن أبي النجُّود الإمام المقرئ قوله :

كان يقال : من قرأ { إذا زلزلت } فكأنما قرأ نصف القرآن .

قال ابن حجر في " نتائج الأفكار" (٣ / ٢٧٠) : رجاله ثقات .

يقول المناوي في " فيض القدير " ، (1 / 367) :

" لأنَّ المقصود الأعظم بالذات من القرآن بيان المبدأ والمعاد ، و" إذا زلزلت " مقصورة على ذكر المعاد ، مستقلة ببيان أحواله ، فعادلت نصفه ، ذكره القاضي " انتهى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها (٢) وَقالَ الْإِنْسانُ ما لَها (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) } .

قوله تعالى { إذا زُلزِلت الأرض زِلزالها } ، أي حُرِّكت الأرض حركتها ، والزلزلة شدَّة الحركة ، فيكون من زل يزل . وفي قوله { زِلزالها } وجهان : أحدهما : لأنها غاية

زلازلها المتوقعة . الثاني : لأنها عامة في جميع الأرض بخلاف الزلازل المعهودة في بعض الأرض. وهذا الخطاب لمن لا يؤمن بالبعث وعيد وتهديد، ولمن يؤمن به إنذار وتحذير، واختُلف في هذه الزلزلة على قولين : أحدهما : أنها في الدنيا من أشراط الساعة ، وهو قول الأكثرين ، الثاني : أنها الزلزلة يوم القيامة . ـ تفسير الماوردي ـ .

{ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها } ما في جوفها من الدفائن أو الأموات ، جمع ثِقْل، وهو متاع البيت .

{ وَقالَ الْإِنْسانُ مَا لَها } لما يبهرهم من الأمر الفظيع ، وقيل المراد بـ : الْإِنْسانُ ، الكافر ؛ فإنَّ المؤمن يعلم ما لها .

{ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها (٥) }

(يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ) تحدِّث الخلق بلسان الحال،(أَخْبارَها) ما لأجله زلزالها وإخراجها.

وقيل ينطقها الله سبحانه وتعالى فتخبر بما عمل عليها ، { ويَوْمَئِذٍ } بدل من (إِذا) وناصبها (تُحَدِّثُ) ، أو أصل و (إِذا) منتصب بمضمر .

(بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها) أي تُحدِّث بسبب إيحاء ربِّك لها بأنْ أحدث فيها ما دلَّت عليه الأخبار ، أو أَنطقها بها .

(يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ) من مخارجهم من القبور إلى الموقف ؛ (أَشْتاتًا) متفرِّقين بحسب مراتبهم . (لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ) جزاء أعمالهم . (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) : تفصيل لِيُرَوْا .

ولعلَّ حسنة الكافر وسيِّئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب .

وقيل الآية مشروطة بعدم الإحباط والمغفرة ، أو من الأولى مخصوصة بالسُّعداء والثانية بالأشقياء لقوله (أَشْتاتًا) ، و (ذَرَّةٍ) النملة الصغيرة أو الهباء . . انظر تفسير البيضاوي . .

سورة والعاديات

١٠٠

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَجَابِرٍ وَالحسَنِ وَعِكْرِمَةَ وَعَطَاءٍ . وَمَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عبَّاس وأنس ومالك وقتادة . وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ آيةً ـ قاله القرطبي رحمه الله في تفسيره ـ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١) } .

{ والعاديات ضَبْحاً } ، أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ، والضبح صوت أنفاسها، { فالموريات } تورى نار الحباحب ، وهي ما ينقدح من حوافرها ، { قَدْحًا } قادحات صاكات بحوافرها الحجارة ، والقدح الصك والإيراء إخراج النار ، { فالمغيرات } تُغير على العدو { صُبْحًا } في وقت الصبح ، { فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا } فهيَّجن بذلك الوقت غبارًا { فَوَسَطْنَ بِهِ } بذلك الوقت { جَمْعًا } من جموع الأعداء ، ووسطه بمعنى توسَّطه .

{ إِنَّ الإنسان لِرَبّهِ لَكَنُودٌ } ، لكفورٌ أي إنه لنعمة ربِّه خصوصًا ، لشديدُ الكفران ،

{ وَإِنَّهُ } وإن الإنسان { على ذلك } على كنوده { لَشَهِيدٌ } يشهد على نفسه، أو : وإنَّ الله على كنوده لشاهد ، على سبيل الوعيد ، { وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخير لَشَدِيدٌ } ، وإنه لأجل حبِّ المال لبخيلٌ مُمسكٌ ، أو إنه لحبِّ المال لقويٌّ ، وهو لحبِّ عبادة الله ضعيف { أَفَلاَ يَعْلَمُ } الإنسان { إِذَا بُعْثِرَ } بُعث { مَا في القبور } من الموتى ، و(مَا) بمعنى : مَن .

{ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لخبِيرٌ } لعالمٌ، فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر وخصَّ { يَوْمَئِذٍ } بالذكر وهو عالم بهم في جميع الأزمان لأنَّ الجزاء يقع يومئذ .

والله أعلم .

ـ السُّورة بكاملها من تفسير الإمام النَّسَفي «مدارك التنزيل» ـ

سورة القارعة

١٠١

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ الْقارِعَةُ (١) مَا الْقارِعَةُ (٢) وَما أَدْراكَ مَا الْقارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ المَبْثُوثِ (٤) وَتكُونُ الجِبالُ كَالْعِهْنِ المَنْفُوشِ (٥) فأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ (٩) وَما أَدْراكَ ما هِيَهْ (١٠) نارٌ حامِيَةٌ (١١) } .

قَوْلُهُ تَعَالَى : (الْقارِعَةُ مَا الْقارِعَةُ) أَيِ الْقِيَامَةُ وَالسَّاعَةُ ، كَذَا قَالَ عَامَّةُ الْمُفَسِّرِينَ .

وَذَلِكَ أَنَّهَا تَقْرَعُ الخلاَئِقَ بِأَهْوَالِها وَأَفْزَاعِهَا .

قَوْلُهُ تَعَالَى : (مَا الْقارِعَةُ) استفهام ، أي أيُّ شي هِيَ الْقَارِعَةُ ؟ ، وَكَذَا (وَما أَدْراكَ مَا الْقارِعَةُ) كَلِمَةُ اسْتِفْهَامٍ عَلَى جِهَةِ التَّعْظِيمِ وَالتَّفْخِيمِ لِشَأْنِهَا ، كَمَا قَالَ : (الحَاقَّةُ . مَا الحَاقَّةُ . وَما أَدْراكَ مَا الْحَاقَّةُ) .

(يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ) مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِ، تَقْدِيرُهُ: تكُونُ الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ المبْثُوثِ . قَالَ قَتَادَةُ : الْفَرَاشُ الطَّيْرُ الَّذِي يَتَسَاقَطُ فِي النَّارِ

وَالسِّرَاجِ . الْوَاحِدُ فَرَاشَةٌ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْفَرَّاءُ: كَالْفَراشِ المَبْثُوثِ كَغَوْغَاءِ الجَرَادِ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا . كَذَلِكَ النَّاسُ ، يَجُولُ بعضهم في بعض إذا بُعثوا .

(وَتَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ) ، أَيِ الصُّوفِ الَّذِي يُنْفَشُ بِالْيَدِ، أَيْ تَصِيرُ هَبَاءً وَتَزُولُ ، وَأَهْلُ اللُّغَةِ يَقُولُونَ : الْعِهْنُ : الصُّوفُ الْمَصْبُوغُ .

{ فأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ (٨) فأُمُّهُ هاوِيَةٌ (٩) وَما أَدْراكَ مَا هِيَهْ (١٠) نارٌ حامِيَةٌ (١١) } .

قال الإمام القرطبي في وصف الميزان في تفسير سورة الْأَعْرَافِ وَالْكَهْفِ وَالْأَنبِيَاءِ : (وَأَنَّ لَهُ كِفَّةً وَلِسَانًا تُوزَنُ فِيهِ الصُّحف المكتوب فيها الحسنات وَالسَّيِّئاتُ) .

ومعنى (عِيشَةٍ راضِيَةٍ) أَيْ عَيْشٍ مَرْضِيٍّ ، يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ . وَقِيلَ: عِيشَةٍ راضِيَةٍ أَيْ فَاعِلَةٍ لِلرِّضَا ، وَهُوَ اللِّينُ وَالانقِيَادُ لِأَهْلِهَ ، فَالْعِيشَةُ كَلِمَةٌ تَجْمَعُ النِّعَمَ الَّتِي فِي الْجَنَّةِ .

وَمَعْنَى (فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ) يَعْنِي جَهَنَّمُ . وَسَمَّاهَا أُمًّا ؛ لِأَنَّهُ يَأْوِي إِلَيْهَا كَمَا يَأْوِي إِلَى أُمِّهِ، وَسُمِّيَتِ النَّارُ هَاوِيَةً ، لِأَنهُ يُهْوَى فِيهَا مَعَ بُعْدِ قَعْرِهَا . وَيُرْوَى أَنَّ الهاوِيَةَ اسْمُ الْبَابِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ . وَقَالَ قَتَادَةُ : مَعْنَى فأُمُّهُ هاوِيَةٌ فَمَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ . عِكْرِمَةُ : لِأَنهُ يَهْوِي فِيهَا عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ . الأخفش : فَأُمُّهُ : مستقرُّه ، والمعنى متقارب .

(وَما أَدْراكَ مَا هِيَهْ) الْأَصْلُ " مَا هِيَ " فَدَخَلَتِ الْهَاءُ لِلسَّكْتِ . (نارٌ حامِيَةٌ) أَيْ شَدِيدَةُ الحرَارَةِ . ـ كما في تفسير القرطبي ـ ، ونسأل الله النجاة منها .

سورة التكاثر

١٠٢

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ المقَابِرَ (٢) كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) } .

يَقُولُ تَعَالَى : شَغَلَكُمْ حُبُّ الدُّنيَا وَنَعِيمُهَا وَزَهْرَتُهَا عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ وَابْتِغَائِهَا ، وَتَمَادَى بِكُمْ ذَلِكَ حَتَّى جَاءَكُمُ الموْتُ وَزُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ، وَصِرْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا ؟!

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ .

{ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ } أَيْ : صِرْتُمْ إِلَيْهَا وَدُفِنْتُمْ فِيهَا .

وَقَوْلُهُ : { كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } ، قَالَ الْحسَنُ الْبَصْرِيُّ: هَذَا وَعِيدٌ بَعْدَ وَعِيدٍ .

وَقَالَ الضَّحَّاكُ : { كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } يَعْنِي : الْكُفَّارَ ، { ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } يَعْنِي : أَيُّها المؤْمِنُونَ .

وَقَوْلُهُ : { كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ } ، أَيْ : لَوْ عَلِمْتُمْ حَقَّ الْعِلْمِ لَمَا أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ عَنْ طَلَبِ الدَّارِ الْآخِرَةِ حَتَّى صِرْتُمْ إِلَى المقَابِرِ .

ثُمَّ قَالَ: { لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ } هَذَا تَفْسِيرُ الْوَعِيدِ الْمُتَقَدِّمِ، وَهُوَ قَوْلُهُ : { كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } تَوعَّدَهم بِهَذَا الحالِ ، وَهِيَ رُؤْيَةُ النَّار .

وَقَوْلُهُ : { ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ } ، أَيْ: ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ شُكْرِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ ، مِنَ الصِّحَّةِ وَالْأَمْنِ وَالرِّزْقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

سورة العصر

١٠٣

مكية ، وقيل مدنية ، وآيها ثلاث .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَواصَوْا بِالحقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) } .

وَالْعَصْرِ أي الدهر . أقسم تعالى به لانطوائه على تعاجيب الأمور القارَّة والمارَّة . ولذا قيل له (أبو العجب) . ولأنه يذكر بما فيه من النِّعم وأضدادها. فينبِّه الإنسان على أنه مستعد للخسران والسعادة . وللتنويه به والتعظيم من شأنه ، تعريضًا ببراءته ممَّا يضاف إليه من الخسران والذم .

وجوَّز أن يُراد بالعصر : الوقت المعروف الذي تجب فيه صلاة العصر .

(إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ) ، أي خسران ، لخسارته رأس ماله الذي هو نور الفطرة والهداية الأصلية ، بإيثار الحياة الدنيا واللذات الفانية والاحتجاب بها وبالدهر ، وإضاعة الباقي في الفاني ، (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا) أي بالله وبما أنزل من الحقِّ ، إيمانًا ملك إرادتهم فلا يعملون إلا ما يوافق اعتقاداتهم .

(وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) ، أي اكتسبوها فربحوا زيادة النّور الكماليِّ على النور الاستعدادي الذي هو رأس مالهم .

(وَتَواصَوْا بِالحقِّ) أي أوصى بعضهم بعضًا بما أنزل الله في كتابه من أمره ، واجتناب ما نهى عنه من معاصيه ، (وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ) أي على ما يبلو الله به عباده، أو على الحق ؛ فإنَّ الوصول إلى الحق سهلٌ ، وأما البقاء عليه والصبر معه بالاستقامة والجهاد لأجله فذاك الذي يظهر به مصداق الإيمان وحقيقته .

قال الرازي :

هذه السُّورة فيها وعيد شديد ؛ وذلك لأنه تعالى حكم بالخسار على جميع الناس؛ إلا من كان آتيًا بهذه الأشياء الأربعة، وهي: الإيمان، والعمل الصالح، التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر . فدلَّ ذلك على أنَّ النجاة معلَّقة بمجموع هذه الأمور ، وأنه كما يلزم المكلَّف تحصيل ما يخصُّ نفسه ، فكذلك يلزمه في غيره أمور ؛ منها الدعاء إلى الدين ، والنصيحة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأن يحبَّ له ما يحب لنفسه ، ثم كرَّر التواصي ليتضمن الأول الدعاء إلى الله ، والثاني الثبات عليه ، والأول الأمر بالمعروف ، والثاني النهي عن المنكر ـ انظر تفسير القاسمي محاسن التأويل ـ .

قال الإمام ابن القيِّم في مفتاح دار السعادة : قال الشافعي رضي الله عنه : لو فكَّر الناس كلُّهم في هذه السورة لكفتهم . وبيان ذلك أنَّ المراتب أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله . إحداها: معرفة الحق . والثانية : عمله به . والثالثة : تعليمه من لا

يحسنه . والرابعة : صبره على تعلُّمه والعمل به وتعليمه . فذكَر تعالى المراتب الأربعة في هذه السورة ، وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر أنَّ كلَّ أحد في خُسْرٍ ؛ إلا الذين آمنوا ، وهم الذين عرفوا الحق وصدَّقوا به ، فهذه مرتبة .

وعملوا الصالحات : وهم الذين عملوا بما علموه من الحق ، فهذه أخرى .

وتواصوا بالحق : وصَّى به بعضهم بعضًا تعليمًا وإرشادًا ، فهذه مرتبة ثالثة .

وتواصوا بالصبر : صبروا على الحقِّ ووصَّى بعضهم بعضًا بالصبر عليه والثبات . فهذه مرتبة رابعة .

وهذا نهاية الكمال ؛ فإنَّ الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه، مكمِّلاً لغيره .

وكماله بإصلاح قوَّتيه العلمية والعملية ؛ فصلاح القوة العلمية بالإيمان ، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات .

وتكميله غيره : بتعليمه إياه ، وصبره عليه ، وتوصيته بالصبر على العلم والعمل .

فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره.

والحمد لله الذي جعل كتابه كافيًا عن كل ما سواه ، شافيًا من كل داء ، هاديًا إلى كل خير . انتهى .

سورة الهمزة

١٠٤

مكيَّة ، وآيها تسع .

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

{ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩) } .

(وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) : هو على الجملة الذي يعيب الناس ويأكل أعراضهم ، واشتقاقه من الهمز واللمز ، وصيغة فعلة للمبالغة ، واختُلف في الفرق بين الكلمتين ، فقيل : الهمز في الحضور ، واللمز في الغيبة، وقيل: بالعكس . وقيل: الهمز باليد والعين، واللمز باللسان ، وقيل: هما سواء .

(وَعَدَّدَهُ) ، أي أحصاه وحافظ على عدده أن لا ينقص فمنعه من الخيرات .

وقيل : معناه استعدَّه وادَّخره عُدَّةً لحوادث الدهر .

(يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ) ، أي يظنُّ لفرط جهله واغتراره أنَّ ماله يُخلِّده في الدنيا ، وقيل : يظنُّ أن ماله يوصله إلى دار الخُلد .

(كَلاَّ) : ردٌّ عليه فيما ظنَّه .

(لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) : هذا جواب قسم محذوف، والحُطمة هي جهنَّم، وإنما سُمِّيت حُطمة لأنها تحطم ما يُلقى فيها وتلتهبه ، وقد عظَّمها بقوله : (وما أدراك) ، ثم فسَّرها بأنها (نارُ اللَّهِ المُوقَدَةُ ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ) ، أي : تبلغ القلوب بإحراقها ، (مُؤْصَدَةٌ) : مُغلقة ، (فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) : العُمُد : جمع عمودٍ، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب أو حجر ، والمُمدَّدة : الطويلة .

وفي المعنى قولان :

أحدهما : أنَّ أبواب جهنم أُغلقت عليهم ، ثم مُدَّت على أبوابها عُمُدٌ تشديدًا في الإغلاق والثقاف كما تثقف أبواب البيوت بالعُمد ، وهو على هذا متعلّق بمؤصدة .

والآخر : أنهم موثوقون مغلولون في العُمد ، فالمجرور على هذا في موضع خبر مبتدأ مضمر ، تقديره : هم موثوقون في عُمد .

ـ تفسير ابن جُزَيّ التسهيل لعلوم التنزيل ـ

سورة الفيل

١٠٥

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجمَاعٍ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥) } .

الِاسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ : (أَلَمْ تَرَ) لِتَقْرِيرِ رُؤْيَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنكَارِ عَدَمِهَا .

قَالَ الْفَرَّاءُ: المعْنَى : أَلَمْ تُخْبِرْ .

وَقَالَ الزَّجَّاجُ : أَلَمْ تَعْلَمْ .

وَهُوَ تَعْجِيبٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِما فَعَلَهُ اللَّهُ بِأَصْحابِ الْفِيلِ الَّذِينَ قَصَدُوا تخريب الكعبة من الحبشة .

وَالخِطَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يكُونَ لِكُلِّ مَنْ يَصْلُحُ لَهُ .

وَالْمَعْنَى : قَدْ عَلِمْتَ يَا مُحَمَّدُ ، أَوْ عَلِمَ النَّاسُ الموْجُودُونَ فِي عَصْرِكَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ بِمَا بَلَغكُمْ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْفِيلِ وَمَا فَعَلَ اللَّهُ بِهِمْ ، فَمَا لكُمْ لَا

تُؤْمِنُونَ ؟ ، (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ) ، أَيْ : أَلَمْ يَجْعَلْ مَكْرَهُمْ وَسَعْيَهُمْ فِي تَخْرِيبِ الكَعْبَةِ وَاسْتِبَاحَةِ أَهْلِهَا فِي تَضْلِيلٍ عَمَّا قَصَدُوا إِلَيْهِ حَتَّى لَمْ يَصِلُوا إِلَى الْبَيْتِ وَلَا إِلَى مَا أَرَادُوهُ بِكَيْدِهِمْ .

وَالْكَيْدُ : هُوَ إِرَادَةُ الْمَضَرَّةِ بِالْغَيْرِ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَكِيدُوا قُرَيْشًا بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ ، وَيَكِيدُوا البيت الحرام بالتخريب والهدم .

(وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ) ، أَيْ : أَقَاطِيعَ يَتبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَالْإِبِلِ الْمُؤَبَّلَةِ .

قَالَ أَبو عُبَيْدَةَ : أَبَابِيلَ: جَمَاعَاتٍ فِي تَفْرِقَةٍ ، يُقَالُ : جَاءَتِ الْخَيْلُ أَبَابِيلَ ، أَيْ : جَمَاعَاتٍ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا . قَالَ النَّحَّاسُ : وَحَقِيقَتُهُ أَنهَا جَمَاعَاتٌ عِظَامٌ ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : كَانَتْ طَيْرًا مِنَ السَّمَاءِ لَمْ يُرَ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا .

قَالَ قَتَادَةُ : هِيَ طَيْرٌ سُودٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْبَحْرِ فَوْجًا فَوْجًا مَعَ كُلِّ طَائِرٍ ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ ، حَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ ، وَحَجَرٌ فِي مِنْقَارِهِ ، لَا يُصِيبُ شَيْئًا إِلَّا هَشَّمَهُ .

(تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) ، قَالَ الزَّجَّاجُ : مِنْ سِجِّيلٍ أَيْ : مِمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ بِهِ ، مُشْتَقًّا مِنَ السِّجِلِّ . قَالَ فِي الصِّحَاحِ : قَالُوا : هِيَ حِجَارَةٌ مِنْ طِينٍ طُبِخَتْ بِنَارِ جَهَنَّمَ مَكتُوبٌ فيها أسماء القوم . وَكَانَ الْحَجَرُ كَالْحِمَّصَةِ وَفَوْقَ الْعَدَسَةِ .

(فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) ، أَيْ: جَعَلَ اللَّهُ أَصْحَابَ الْفِيلِ كَوَرَقِ الزَّرْعِ إِذَا أَكَلَتْهُ الدَّوَابُّ فَرَمَتْ بِهِ مِنْ أَسْفَلَ ، شَبَّهَ تَقَطُّعَ أَوْصَالِهِمْ بِتَفَرُّقِ أَجْزَائِهِ . وَقِيلَ : المعْنَى: أَنهُمْ

صَارُوا كَوَرَقِ زَرْعٍ قَدْ أَكَلَتْ مِنْهُ الدَّوَابُّ وَبَقِيَ مِنْهُ بَقَايا ، أَوْ أَكَلَتْ حَبَّهُ فَبقِيَ بِدُونِ حَبِّهِ . وَالْعَصْفُ : جَمْعُ عَصْفَةٍ وَعُصَافَةٍ وَعَصِيفَةٍ .

- فتح القدير للإمام الشوكاني-

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سورة قريش

١٠٦

ويقال سورة لإيلاف قريش .

وهي مكيَّة في قول الجمهور .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ لِإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ (٢)

فلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا البَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ

وَآمَنهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤) } .

{ لإيلاف قُرَيْشٍ } متعلِّقٌ بقولِه تعالَى { فليعبدُوا } ، والفاءُ لما في الكلامِ منْ مَعْنى الشَّرطِ إذِ المعَنْى : أنَّ نِعمَ الله تعالَى عليهمْ غيرُ محصورةٍ ؛ فإنْ لَمْ يعبدُوه لسائرِ نعمهِ فليعبدُوه لهذِه النعمةِ الجليلةِ ، والمعْنى : أهلكَ مَنْ قصدَهُم منَ الحبشةِ ليتسامعَ الناس فيتهيَّبُوا لَهُمْ زيادةَ تهيُّبٍ ويحترمون فضلَ احترامٍ حَتَّى ينتظَم لهُمْ الأمنُ في رحلتِيهمْ فَلاَ يجترئ عليهمْ أحدٌ ، وكانتْ لقريشٍ رحلتانِ ، يرحلونَ في الشِّتاءِ إلى اليمنِ ، وفي الصيفِ إلى الشامِ ، فيتمارون ويتجرونَ ، وكانُوا في رحلتِيهمْ آمنينَ لأنهُم أهلُ حرمِ الله تعالَى وولاةُ بيتِه العزيزِ ؛ فَلا يُتَعرَّضُ لهُمْ والنَّاسُ بينَ مُتخطَّفٍ ومنهوبٍ ، وَالإيلافُ

منْ قولِكَ : آلفتْ المكانَ إيلافاً إذا أَلِفْتَهُ .

{ إيلافهم رِحْلَةَ الشتاء والصيف } : تفخيمٌ لأمرِهِ وتذكيرٌ لعظيمِ النعمةِ فيهِ .

{ فَلْيَعبُدُواْ رَبَّ هذا البيت } {الذى أَطْعَمَهُم } بسببِ تينكِ الرحلتينِ اللتينِ تمكَّنُوا فيهَما بواسطةِ كونِهم منْ جيرانِهِ { مِن جُوعٍ } شديدٍ كانُوا فيهِ قَبْلَهُما ، وقيلَ : أريدَ بهِ القحطُ الذي أكلُوا فيه الجيف والعظام ، { وآمنهم مِّنْ خَوْفٍ } عظِيم لا يُقادرُ قَدرُه ، وهُوَ خوفُ أصحابِ الفيلِ أوْ خوفُ التخطُّف في بلدهم ومسايرهم .

ـ تفسير أبي السُّعود «إرشاد العقل السليم» ـ

سورة الماعون ١٠٧

مكيَّة ، وآياتها سبع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذلِكَ الَّذِي يَدُعُّ اليَتِيمَ (٢) وَلا يحُضُّ عَلى طَعامِ المِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُراؤُنَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْماعُونَ (٧) } .

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) أي هل عرفت ذلك الذي يكذِّب بما وراء إدراكه من الأمور الإلهية والشئون الغيبية ، بعد أن ظهر له بالدليل القاطع والبرهان الساطع ، فإن كنت لا تعرفه بذاته ، فاعرفه بصفاته ، وهي :

(١) (فَذلِكَ الَّذِي يَدُعُّ اليَتِيمَ) أي فذلك المكذِّب بالدين هو الذي يدفع اليتيم ويزجره زجرًا عنيفًا إن جاء يطلب منه حاجة ، احتقارًا لشأنه وتكبُّرًا عليه .

(٢) (وَلا يَحُضُّ عَلى طَعامِ المِسْكِينِ) أي ولا يحُثُّ غيره على إطعامه، وإذا كان لا يحث غيره على ذلك ولا يدعو إليه ، فهو لا يفعله بالأولى .

وفى هذا توجيه لأنظارنا إلى أننا إذا لم نستطع مساعدة المسكين كان علينا أن نطلب من غيرنا معونته ونحثه على ذلك كما تفعل جماعات الخير ـ أي الجماعات الخيرية ـ .

وخلاصة ما سلف : إنَّ للمكذب بالدين صفتين :

أولاهما : أن يحتقر الضعفاء ويتكبَّر عليهم .

وثانيتهما : أن يبخل بماله على الفقراء والمحاويج ، أو يبخل بسعيه لدى الأغنياء ليساعدوا أهل الحاجة ممن تحقَّق عجزهم عن كسب ما ينقذهم من الضرورة ، ويقوم لهم بكفاف العيش .

وسواء أكان المحتقر للحقوق البخيل بالمال والسعي لدى غيره مصليًا أو غير مصلٍّ فهو فى وصف المكذبين ، ولا تخرجه صلاته منهم ، لأنَّ المصدِّق بشيء لا تطاوعه نفسه على الخروج مما صدَّق به ، فلو صدَّق بالدين حقًّا لصار منكسرًا متواضعًا لا يتكبَّر على الفقراء ولا ينهر المساكين ولا يزجرهم ، فمن لم يفعل شيئًا من ذلك فهو مُراء في عمله ، كاذب فى دعواه ، ومن ثم قال سبحانه : (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) ؛ أي فعذاب لمن يؤدِّي الصلاة بجسمه ولسانه من غير أن يكون لها أثر في نفسه ، ومن غير أن تؤتى ثمرتها التي شرعت لأجلها ، لأنَّ قلبه غافل عمَّا يقوله اللسان وتفعله الجوارح ، فيركع وهو لاهٍ عن ركوعه ، ويسجد وهو لاهٍ عن سجوده ، ويكبِّر وهو لا يعي ما يقول ؛ وإنما هي حركات اعتادها وكلمات حفظها، لا تدرك نفسه معناها ، ولا تصل إلى معرفة ثمرتها .

(الَّذِينَ هُمْ يُراؤُنَ) : أي إنهم يفعلون أفعالاً ظاهرةً بقدر ما يرى الناس ، دون أن تستشعر قلوبهم بها ، أو تصل إلى معرفة حكمها وأسرارها .

(وَيَمْنَعُونَ الماعُونَ) أي ويمنعون ما لم تجر العادة بمنعه مما يسأله الفقير والغنيُّ ، ويُنسب منعه إلى لؤم الطبع وسوء الخلق .

ـ تفسير المراغي ـ .

سورة الكوثر ١٠٨

مكية ، وآياتها ثلاث .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣) }

وَهِيَ أَقْصَرُ سُوَرِ الْقُرْآنِ عَدَدَ كَلِماتٍ وَعَدَدَ حُرُوفٍ ، وأَمَّا فِي عَدَدِ الْآياتِ فَسُورَةُ الْعَصْرِ وَسُورَةُ النَّصْرِ مثلهَا ؛ وَلكِن كلماتهما أَكثر.

اشْتَمَلَتْ عَلَى بِشَارَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أُعْطِيَ الْخَيْرَ الكَثِيرَ فِي الدُّنيَا وَالْآخِرَةِ . وَأَمْرِهِ بِأَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ بِالْإِقبالِ عَلَى الْعِبَادَةِ .

وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الكَمَالُ الْحَقُّ لَا مَا يَتَطَاوَلُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ عَلَى المسْلِمِينَ بِالثَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ وَهُمْ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُمْ أَبْغَضُوا رَسُولَهُ، وَغَضَبُ اللَّهِ بَتْرٌ لهمْ إِذَا كَانُوا بِمَحَلِّ السُّخْطِ مِنَ اللَّهِ . وَإِنَّ انقِطَاعَ الْوَلَد الذَّكر لَيْسَ بَتْرًا ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا أَثَرَ لَهُ فِي كَمَال الْإِنْسَان .

- هذه مقدِّمة للسُّورة اخترتها من التحرير

والتنوير للطاهر بن عاشور رحمه الله -

روى مسلم عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهُرنا في المسجد إذا أغفى إغفاءة ، ثم رفع مُبْتَسِمًا ، قُلْنَا : مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قال : لقد أُنْزِلَتْ عليَّ آنِفًا سُورَةٌ ؛ فَقَرَأَ : بِسمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ فصلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ ، قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قال : فإنه نهر في الجنَّة وَعَدَنِيهِ رَبِّي عزَّ وجلَّ ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، آنيته عدد النجوم في السماء ، فيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ ، فَأَقُولُ : رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي ، فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بعدك " .

وقال البخاري ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ فِي الْكَوْثَرِ : هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي أعطاه الله إياه .

قال أبو البشر : قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : فَإِنَّ نَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ ؛ فَقَالَ سَعِيدٌ : النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ الله إياه . أخرجه البخاري .

وروى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: الْكَوْثَرُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ .

وَهَذَا التَّفْسِيرُ يَعُمُّ النَّهْرَ وَغَيْرَهُ ؛ لِأَنَّ الْكَوْثَرَ مِنَ الْكَثْرَةِ وَهُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ ، وَمِنْ ذَلِكَ النَّهْرُ ، كَمَا قَالَ ابْنُ عباس وعكرمة ومجاهد ، حَتَّى قَالَ مُجَاهِدٌ : هُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ فِي الدُّنيا وَالْآخِرَةِ ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ : هُوَ النُّبُوَّةُ وَالْقُرْآنُ وَثَوَابُ الْآخِرَةِ .

وَقَدْ صَحَّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ فَسَّرَهُ بِالنَّهْرِ أَيْضًا .

وقوله تعالى : { فصلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ } ؛ أَيْ كَمَا أَعْطَيْنَاكَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ النَّهْرُ الَّذِي تَقَدَّمَت صِفَتُهُ ، فَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ صَلاتَكَ المكْتُوبَةَ وَالنَّافِلَةَ ، وَنَحْرَكَ ، فَاعْبُدْهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَانْحَرْ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

قال ابن جرير :

والصواب قول من قال : إنَّ مَعْنَى ذَلِكَ فَاجْعَلْ صَلاتَكَ كُلَّهَا لِرَبِّكَ خَالِصًا ، دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ ، وَكَذَلِكَ نَحْرَكَ اجْعَلْهُ لَهُ دُونَ الْأَوْثَانِ ؛ شُكْرًا لَهُ عَلَى مَا أَعْطَاكَ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالْخَيْرِ الَّذِي لَا كِفَاءَ لَهُ وَخَصَّكَ بِهِ .

وَهَذَا الَّذِي قاله في غاية الحسن .

وقوله تعالى : { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ } ؛ أَيْ إِنَّ مُبْغِضَكَ يَا مُحَمَّدُ ، وَمُبْغِضَ مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ السَّاطِعِ وَالنُّورِ الْمُبِينِ { هُوَ الْأَبْتَرُ } ، أي الْأَقَلُّ الْأَذَلُّ الْمُنْقَطِعُ ذِكْرُهُ ، قَالَ ابْنُ عبَّاس ومجاهد : نزلت في العاص بن وائل ، وقال يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ : كَانَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ إِذَا ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : دَعُوهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَبْتَرُ لَا عَقِبَ لَهُ ، فَإِذَا هَلَكَ انقَطَعَ ذِكْرُهُ ؛ فأنزل الله هذه السورة .

وقيل : نزلت في عقبة بن أبي مُعيط ، وقال عَطَاءٍ : نَزَلَتْ فِي أَبِي لَهَبٍ ؛ وَذَلِكَ حِينَ مات ابنٌ لرسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَهَبَ أَبو لهب إلى المشركين ، فقال: بُتِرَ مُحَمَّدٌ اللَّيْلَةَ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ : { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ } ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ ، وَعَنْهُ { إِنَّ شَانِئَكَ } يَعْنِي عَدُوَّكَ ، وَهَذَا يَعُمُّ جَمِيعَ مَنِ اتَّصَفَ بِذَلِكَ مِمَّنْ ذُكِرَ

وَغَيْرِهِمْ . فَتَوَهَّمُوا لِجَهْلِهِمْ أَنهُ إِذَا مَاتَ بَنُوهُ انقطع ذِكْرُهُ ، وَحَاشَا وَكَلاَّ ؛ بَلْ قَدْ أَبقَى اللَّهُ ذكره على رؤوس الْأَشْهَادِ ، وَأَوْجَبَ شَرْعَهُ عَلَى رِقَابِ الْعِبَادِ ، مُسْتَمِرًّا على دوام الآباد ، إلى يوم المحشر وَالمعَادِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ التناد .

ـ تفسير القران العظيم للإمام ابن كثير رحمه الله ـ

قلت : الحمد لله الذي رفع ذكرَ ومقامَ وقدرَ سيِّدنا وإمامنا وقدوتنا ونبينا محمَّد صلي الله عليه وسلم ، ونحن في زمن كثر فيه الرويبضة والسُّفهاء الذين يتطاولون عليه بالسبِّ والشتم له ولآل بيته الأطهار ، سواء من المنتسبين للإسلام زورًا وبهتانًا من الروافض قبَّحهم الله ، أو من السُّفهاء من أتباع الأديان الباطلة ، أو الملحدين ممَّن انتكسوا علي أعقابهم وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فهو وليُّهم اليوم ولهم عذاب أليم، ولم يدر هؤلاء أنَّ الذي يتولَّى الدفاع عنه هو ربُّ العالمين الذي أرسله رحمةً وهدايةً ورفع ذكره في الأولين والآخرين .

فنسأل الله أن يحيينا علي سُنَّته ، ويميتنا علي ملَّته ، ويسقينا من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدًا ، اللهم آمين .

سورة الكافرون ١٠٩

مكيَّة ، وآياتها ستٌّ آيات .

بسم الله الرحمن الرحيم

{ قُلْ يَا أَيُّها الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) } .

- فضل هذه السُّورة :

صحَّ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقرؤها في الشفع في الركعة الثانية ويقرأ في الأولى بالأعلى ، وصحَّ أنه كان يقرأ بها وبالصمد في ركعتي الطواف . روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر : قل يا أيها الكافرون ، و : قل هو الله أحد .

وفي ركعتي الطواف خلف مقام إبراهيم :

روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الركعتين : قل هو الله أحد ، و : قل يا أيها الكافرون .

وفي صلاة الوتر :

لما رواه أحمد في مسنده ، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يوتر بثلاث ، بـ : سبِّح اسم ربك الأعلى ، و : قل يا أيها الكافرون ، و : قل هو الله أحد .

وصحَّحه الأرناؤوط.

في السُّنَّة الراتبة للمغرب ـ وهي البعدية ـ :

روى أحمد في مسنده ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعًا وعشرين مرة ، أو بضع عشرة مرة : قل يا أيها الكافرون ، و : قل هو الله أحد . وصحَّحه الأرناؤوط .

عند النوم :

ففي مسند الإمام أحمد أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: اقرأ عند منامك " قل يا أيها الكافرون " ، قال : " ثم نم على خاتمتها ، فإنها براءة من الشِّرك ."

وحسَّنه الأرناؤوط ، ورواه أبو داود وصحَّحه الألباني .

عن نَوفلٍ بن فروة الأشجعيّ ، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لنوفل : " اقرأْ { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } ، ثُمَّ نَم عَلَى خاتِمَتِها ؛ فإنها براءةٌ من الشركِ " . حسَّنه ابن حجر في " نتائج الأفكار " (٣ / ٦١) ، والألباني في " صحيح أبي داود " .

هذا ما تيسَّر لي جمعه في فضائل هذه السورة الكريمة ، والله اعلم .

قوله تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } :

الآيات الست الكريمات نزلت ردًّا على اقتراح تقدُّم به بعض المشركين وهم الوليد ابن المغيرة والعاص بن وائل السهمي والأسود بن المطلب وأميَّة بن خلف ، مفاده : أن يعبد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معهم آلهتهم سنة ويعبدون معه إلهه سنة مصالحة بينهم وبينه وإنهاء للخصومات في نظرهم ؛ ولم يُجبهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء ، حتى نزلت هذه السورة { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } ، أي : قل يا رسولنا لهؤلاء المقترحين الباطل : يا أيها الكافرون بالوحي الإلهي والتوحيد ، المشركون في عبادة الله تعالى أصنامًا وأوثانًا { لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } الآن كما اقترحتم { وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ } الآن { مَا أَعْبُدُ } لما قضاه الله لكم بذلك ، { وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ } في المستقبل أبدًا { وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } في المستقبل أبدًا ؛ لأنَّ ربِّي حكم فيكم بالموت على الكفر والشِّرك حتى تدخلوا النار لما علمه من قلوبكم وأحوالكم وقُبح سلوككم وفساد أعمالكم { لَكُمْ دِينُكُمْ } لا أتابعكم عليه { وَلِيَ دِينِ } لا تتابعونني عليه ؛ وبهذا أيأس الله رسوله من إيمان هذه الجماعة التي كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطمع في إيمانها ، وأيأس المشركين من الطمع في موافقة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مقترحهم الفاسد ، وقد هلك هؤلاء المشركون على الكفر ؛ فلم يؤمن منهم أحد ؛ فمنهم من هلك في بدر، ومنهم من هلك في مكة على الكفر والشرك ، وصدق الله العظيم فيما أخبر به عنهم أنهم لا يعبدون الله عبادة تُنجيهم من عذابه وتدخلهم رحمته .

سورة النصر ١١٠

مدنية ، وآياتها ثلاث آيات .

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ

فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ

إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) }

قوله عزَّ وجلَّ { إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّه } يعني إذا جاءك يا محمَّد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش . ومعنى مجيء النصر أنَّ جميع الأمور مرتبطة بأوقاتها يستحيل تقدُّمها عن وقتها أو تأخُّرها عنه ؛ فإذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الأمر المقدَّر، فلهذا المعنى قال : { إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } ، يعني فتح مكة في قول جمهور المفسِّرين ، وقيل : هو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشِّرك عليهم على الإطلاق ، والفرق بين النصر والفتح أنَّ النصر هو الإعانة والإظهار على الأعداء وهو تحصيل المطلوب ، وهو كالسبب للفتح ؛ فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف عليه الفتح، وقيل النصر هو إكمال الدين وإظهاره والفتح هو الإقبال الذي هو تمام النعمة .

{ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجًا } :

يعني زُمرًا وأرسالاً ، والقبيلة بأسرها . والقوم بأجمعهم من غير قتال ؛ فكانوا يدخلون في دين الله أفواجًا بعد أن كانوا يدخلون واحدًا واحدًا واثنين اثنين .

قوله { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّابًا } يعني فإنك حينئذ لا حق به .

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال : كانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مع أَشْيَاخِ بَدْرٍ فكَأنَّ بَعْضَهُمْ وجَدَ في نَفْسِهِ ، فَقالَ: لِمَ تُدْخِلُ هذا معنَا ولَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ ؟! ، فَقالَ عُمَرُ: إنَّه مَن قَدْ عَلِمْتُمْ ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَومٍ فأدْخَلَهُ معهُمْ ، فَما رُئِيتُ أنَّه دَعَانِي يَومَئِذٍ إلَّا لِيُرِيَهُمْ، قالَ: ما تَقُولونَ في قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والفَتْحُ }؟ ، فَقالَ بَعْضُهُمْ : أُمِرْنَا أنْ نَحْمَدَ اللَّهَ ونَسْتَغْفِرَهُ إذَا نُصِرْنَا وفُتِحَ عَلَيْنَا ، وسَكَتَ بَعْضُهُمْ فلَمْ يَقُلْ شيئًا ، فَقالَ لِي : أكَذَاكَ تَقُولُ يا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ ؛ فَقُلتُ : لَا ، قالَ : فَما تَقُولُ؟ ؛ قُلتُ : هو أجَلُ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أعْلَمَهُ له، قالَ: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والفَتْحُ } وذلكَ عَلَامَةُ أجَلِكَ، { فَسَبِّحْ بحَمْدِ رَبِّكَ واسْتَغْفِرْهُ إنَّه كانَ تَوَّابًا } ، فَقالَ عُمَرُ : ما أعْلَمُ منها إلَّا ما تَقُولُ .

رواه البخاريُّ

قالت أمُّ المؤمنين عائشة : ما صلَّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم صلاة بعد أن أنزلت عليه { إذا جاء نصر الله والفتح }؛ إلا يقول فيها : سبحانك ربَّنا وبحمدك اللهمَّ اغفر لي . متفق عليه وفي رواية في الصحيحين .

قالت : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده:

سبحانك اللهم وبحمدك اللهمَّ اغفر لي ؛ يتأول القرآن .

معنى : "يتأوَّل الْقُرْآنَ " أيْ : يعْمل مَا أُمِرَ بِهِ فِي القُرآنِ فِي قولِهِ تَعَالَى :

{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ }

وفي معنى التسبيح وجهان :

ـ أحدهما : نزِّه ربَّك عمَّا لا يليق بجلاله ثم احمده .

ـ والثاني : فصلِّ لربِّك لأنَّ التسبيح جزءٌ من أجزاء الصلاة .

ثم قيل : عني به صلاة الشُّكر ، وهو ما صلاَّه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوم فتح مكة ثمان ركعات .

وقيل : هي صلاة الضحى .

وفي الآية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيًا في أداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح .

فإن قلت : ما معنى هذا الاستغفار وقد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر .

قال الإمام الخازن :

إنه تعبَّد الله بذلك ليقتدي به غيره ؛ إذ لا يأمن كلُّ واحدٍ من نقصٍ يقع في عبادته

واجتهاده ؛ ففيه تنبيه على أنَّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم مع عصمته وشدَّة اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار ؛ فكيف بمن هو دونه !

ـ تفسير الخازن : لُباب التأويل في معاني التنزيل ـ

سورة المسد (١١١)

مكية ، وهي خمس آيات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ (٢) سَيَصْلى نارًا ذاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥) } .

- سبب نزول السورة :

روى البخاري ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى البَطْحَاءِ فَصَعِدَ الجَبَلَ فَنَادَى : يَا صَبَاحَاهَ ؛ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ أَكَنْتُمْ تُصَدِّقُونِ ي؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فَقَالَ أَبو لَهَبٍ : أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا ؟ ، تَبًّا لَكَ !، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : {تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } إِلَى آخرها . أخرجه البخاري .

وَفِي رِوَايَةٍ : فَقَامَ يَنْفُضُ يَدَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ : تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا ؟؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : { تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } .

أما التفسير :

فقال الإمام مُجير الدين المقدسيُّ في تفسيره ((فتح الرحمن في تفسير القرآن)) :

{تَبَّتْ} أي : خسرت ، { يَدَا أَبِي لَهَبٍ } أي : هو ، أخبر عن يديه والمراد بهما: نفسه؛ على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كلِّه ، وأسند ذلك إلى اليدين ؛ من حيثُ اليدُ موضع الكسب والربح ، وأبو لهب هو عبدُ العُزَّى بنُ عبد المطلب ، وهو عمُّ النّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وكُنِّي لشهرته بكُنيته دون اسمه ، (وَتَبَّ) فالأول دعاء، والثّاني خبر ، كقولهم : أهلكه الله تعالى ، وقد هلك .

{ مَا أَغْنَى } ، (ما) نافية ؛ أي : ما يغني ، { عَنْهُ مَالُهُ } أي : ما يدفع عنه عذابَ الله ما جمعَ من المال ، وكان صاحب ماشية ، { وَمَا } أي : والذي ، { كَسَبَ } من عَرَض الدنيا من عقار ونحوه ، وقيل : المراد بما كسب : بنوه ، فكأنَّه قال : ما أغنى عنه مالُه وولده .

ثمّ أوعده بالنار ؛ فقال : { سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ } ، أي صاحبةَ تلهُّب وتوقُّد .

{ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) }. وتعطف على ضمير { سَيَصْلَى }،{ وَامْرَأَتُهُ } هي أمُّ جميل بنتُ حرب أختُ أبي سفيان ، { حَمَّالَةَ الْحَطَبِ } أي : الخطايا.

وقال ابن عبَّاس: كانت تجيء بالشَّوك وتطرحه في طريق النّبيِّ صلى الله عليه وسلم وطريق أصحابه ؛ لتعقرَهم بذلك ، فسُمِّيت (حمَّالة الحطب) ، وله وجهان :

- أحدهما : سيصلى ، هو وامرأتهُ حمالةُ الحطب .

- الثّاني : وامرأته حمالةُ الحطب في النَّار أيضًا .

{ فِي جِيدِهَا } ، أي في عُنقها .

{ حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ } ، أي سلسلة من حديد ، ذرعها سبعون ذراعًا ، وأصله من المَسْد ، وهو الفتل الشديد .

سورة الإخلاص (١١٢)

مختلف فيها أمدنيَّة هي أم مكيَّة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) } .

ـ فضلها :

قَالَ البُخَارِيُّ : حَدَّثَنا قُتَيْبَةُ ، حَدَّثَنَا المُفَضَّلُ ، عَنْ عُقَيل ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " وَ " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " وَ " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ " ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ ، وَمَا أَقبَلَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ .

وقال أنس بنُ مالك رضي الله عنه : كانَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ يَؤُمُّهُمْ في مَسْجِدِ قُباءٍ ، وكانَ كُلَّما افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بها لهمْ في الصَّلاَةِ مِمَّا يَقْرَأُ به افْتَتَحَ بـ : قُلْ هو اللَّهُ أحَدٌ، حتَّى يَفْرُغَ مِنْها، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى معها، وكانَ يَصْنَعُ ذلكَ في كُلِّ رَكْعَةٍ، فكَلَّمَهُ أصْحابُهُ، فقالوا : إنَّكَ تَفْتَتِحُ بهذِه السُّورَةِ ، ثُمَّ لاَ تَرَى أنَّها تُجْزِئُكَ حتَّى تَقْرَأَ بأُخْرَى ، فَإِمَّا تَقْرَأُ بها وإمَّا أنْ تَدَعَها وتَقْرَأَ بأُخْرَى ؛ فقالَ: ما أنا بتارِكِها ، إنْ أحْبَبْتُمْ أنْ أؤُمَّكُمْ بذلكَ فَعَلْتُ،

وإنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وكانُوا يَرَوْنَ أنَّه مِن أفْضَلِهِمْ ، وكَرِهُوا أنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فلمَّا أتاهُمُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أخْبَرُوهُ الخَبَرَ ؛ فقالَ: يا فُلانَ، ما يَمْنَعُكَ أنْ تَفْعَلَ ما يَأْمُرُكَ به أصْحابُكَ ، وما يَحْمِلُكَ علَى لُزُومِ هذِه السُّورَةِ في كُلِّ رَكْعَةٍ ؟ فقالَ: إنِّي أُحِبُّها، فقالَ: حُبُّكَ إيَّاها أدْخَلَكَ الجَنَّةَ .

أخرجه البخاري معلَّقًا بصيغة الجزم (٧٧٤) واللفظ له .

وأخرجه موصولاً الترمذيُّ (٢٩٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وحسَّنه الشيخ مُقبل الوادعي في « الصحيح المسند » .

- وفضلها مع المعوذتين :

قال عبد الله بن خُبيب رضي الله عنه : خَرَجْنا في ليلةِ مَطَرٍ وظُلْمةٍ شديدةٍ نَطْلُبُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ؛ فأَدْرَكْناهُ، فقال : قُلْ ، قلتُ : ما أقولُ ؟!، قال : { قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ } والمُعوذَتَيْنِ حين تُصْبِحُ وحين تُمسِي ثلاثَ مراتٍ ؛ تكْفِيكَ من كلِّ شيءٍ .

قال الشيخ الألبانيُّ رحمه الله في تخريج « مشكاة المصابيح »:

حسن صحيح .

- سبب نزولها :

ذكر الإمام الطبريُّ رحمه الله في تفسيره أنَّ المشركين سألوا رسول الله صلى الله

عليه وسلم عن نسب ربِّ العزّة ؛ فأنزل الله هذه السُّورة جوابًا لهم .

وقال بعضهم : بل نزلت من أجل أنَّ اليهود سألوه فقالوا له: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله ؟ ؛ فأُنزلت جوابًا لهم .

فتأويل الكلام إذا كان الأمر على ما وصفنا : قل يا محمد لهؤلاء السائليك عن نسب ربِّك وصفته ومَن خَلقه : الربُّ الذي سألتموني عنه ، هو الله الذي له عبادة كلِّ شيء ، لا تنبغي العبادة إلا له ، ولا تصلح لشيء سواه .

قال أبو جعفر :

الصمد عند العرب : هو السيِّد الذي يُصمد إليه ، الذي لا أحد فوقه ، وكذلك تسمِّى أشرافها .

وقوله : (لَمْ يَلِدْ) ، يقول : ليس بفانٍ ؛ لأنه لا شيء يلد إلا هو فانٍ بائد .

(وَلَمْ يُولَدْ) يقول: وليس بمحدث لم يكن فكان ؛ لأنَّ كل مولود فإنما وجد بعد أن لم يكن ، وحدث بعد أن كان غير موجود ؛ ولكنه تعالى ذكره قديم لم يزل ، ودائم لم يبد، ولا يزول ولا يفنى .

وقوله : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفوًا أَحَدٌ) والكُفؤُ ، والكُفَى ، والكِفَاءُ في كلام العرب واحد ، وهو المِثْل والشِّبْه ، يعني: لا كِفَاء له ، لأي لا مثل له .

سورة الفلق (١١٣)

هذه السُّورة مدنيَّة كما قال ابن عبَّاس ، وقال قتادة : هي مكية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ (٥) } .

وقد أوردتُ فضلها مع سورة الناس عند تفسير سورة الإخلاص فارجع إليه .

وفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتكَى قَرَأَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ وَيَنْفُثُ ، كُلَّمَا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ ، وَأَمْسَحُ عَنهُ بِيَدِهِ ، رَجَاءَ بَرَكَتِهَا . والنَّفْثُ : النَّفْخُ لَيْسَ مَعَهُ رِيقٌ .

أما تفسيرها ـ كما في تفسير الجلالين ـ :

{ قُلْ أَعُوذ بِرَبِّ الْفَلَق } الصُّبْح ، { مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ } مِنْ حَيَوَان مُكَلَّف وَغَيْر مُكَلَّف وَجَمَاد كَالسُّمِّ وَغَيْر ذَلِكَ ، { وَمِنْ شَرّ غَاسِق إِذَا وَقَبَ } ، أَيْ اللَّيْل إِذَا أَظْلَمَ وَالْقَمَر إِذَا غَابَ ، { وَمِنْ شَرّ النَّفَّاثَات } أي السَّوَاحِر تَنْفُث ، { فِي الْعُقَد } الَّتِي تَعْقِدهَا فِي الْخَيْط تَنْفُخ فِيهَا بِشَيْءٍ تَقُولهُ مِنْ غَيْر رِيق ، {وَمِنْ شَرّ حَاسِد إِذَا حَسَدَ } أَظْهَر حَسَدَهُ وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهُ ، كَلَبِيد الْمَذْكُور مِنْ الْيَهُود الْحَاسِدِينَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

سُورَة الناس ١١٤

مَكِّيَّة ، وآياتها سِتٌّ .

بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) } .

تقدَّم فضلها مع الفلق والإخلاص .

وقال القرطبي في تفسيره : سُورَةُ" النَّاسِ" مِثْلُ" الْفَلَقِ" ؛ لِأَنهَا إِحْدَى الْمُعَوِّذَتيْنِ .

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ آيَاتٍ لَمْ يُرَ مِثْلَهُنَّ : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، وَ (قُلْ أَعُوذِ بِرَبِّ الْفَلَقِ) إِلَى آخِرِ السورة) . وقال الترمذيُّ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وقال في تفسيرها : قَوْلُهُ تَعَالَى : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ؛ أَيْ بِمَالِكِهِمْ وَمُصْلِحِ أُمُورِهِمْ. وَإِنَّمَا ذَكَرَ أَنَّهُ رَبُّ النَّاسِ ، وَإِنْ كَانَ رَبًّا لِجَمِيعِ الْخَلْقِ ؛ لِأَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا : لِأَنَّ النَّاسَ مُعَظَّمُونَ ، فَأَعْلَمَ بِذِكْرِهِمْ أَنَّهُ رَبٌّ لَهُمْ وَإِنْ عُظِّمُوا . الثَّانِي : لِأَنَّهُ أَمَرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّهِمْ ، فَأَعْلَمَ بِذِكْرِهِمْ أنَّه هو الذي يُعيذ منهم . إنما قَالَ : مَلِكِ النَّاسِ إِلهِ النَّاسِ لِأَنَّ

فِي النَّاسِ مُلُوكًا يَذْكُرُ أَنهُ مَلِكُهُمْ . وَفِي النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ غَيْرَهُ فَذَكَرَ أَنهُ إِلهُهُمْ وَمَعبُودُهُمْ، وَأَنهُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُسْتَعَاذَ بِهِ وَيُلْجَأَ إليه ، دون الملوك والعظماء .

- مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنَّاسِ :

يَعْنِي : مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ . وَالمعْنَى : مِنْ شَرِّ ذِي الْوَسْوَاسِ ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ ، قَالَهُ الْفَرَّاءُ ، وَهُوَ بِفَتْحِ الْوَاوِ بِمَعْنَى الاِسْمِ ، أَيِ الْمُوَسْوِسِ . وَبِكَسْرِ الْوَاوِ الْمَصْدَرُ ، يَعْنِي الْوَسْوَسَةَ . وَكَذَا الزَّلْزَالُ وَالزِّلْزَالُ . وَالْوَسْوَسَةُ : حَدِيثُ النَّفْسِ . يُقَالُ : وَسْوَسَتْ إِلَيْهِمْ نَفْسُهُ وَسْوَسَةً وَوِسْوَسَةً ـ بِكَسْرِ الْوَاوِ ـ .

ووصِف بالخنَّاس لأنه كثير الاختفاء ، ومنه قوله تعالى : { فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ } [التكوير : ١٥] يَعْنِي النُّجُومَ ، لِاخْتِفَائِهَا بَعْدَ ظُهُورِهَا . وَقِيلَ : لِأَنَّهُ يَخْنِسُ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ اللَّهَ ، أَيْ يَتَأَخَّرُ . وَفِي الْخَبَرِ (إِنَّ الشَّيْطَانَ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابن آدم ؛ فإذا غفل وسوس ، وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ) ، أَيْ تَأَخَّرَ وَأَقْصَرَ .

- الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ :

وَوَسْوَسَتُهُ هُوَ الدُّعَاءُ لِطَاعَتِهِ بِكَلَامٍ خَفِيٍّ ، يَصِلُ مَفْهُومُهُ إِلَى الْقَلْبِ مِنْ غير سماع صوت .

- مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ :

أَخْبَرَ أَنَّ الْمُوَسْوِسَ قَدْ يكُونُ مِنَ النَّاسِ .

قَالَ الحَسَنُ : هُمَا شَيْطَانَانِ ، أَمَّا شَيْطَانُ الْجِنِّ فيُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الْإِنْسِ فيَأْتِي عَلاَنِيَةً . وَقَالَ قَتَادَةُ : إِنَّ مِنَ الْجِنِّ شَيَاطِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْإِنْسِ شَيَاطِينَ؛ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ . وَرُوِيَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنهُ قَالَ لِرَجُلٍ: هَلْ تَعَوَّذْتَ بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ ؟ ؛ فَقَالَ : أومنَ الْإِنْسِ شَيَاطِينُ ؟ ؛ قَالَ : نَعَمْ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : { وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ } [الأنعام : ١١٢] .

وَالْمَعْنَى : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ ، الَّذِي هُوَ مِنَ الْجِنَّةِ ، وَمِنْ شَرِّ النَّاسِ . فَعَلَى هَذَا أُمِرَ بِأَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ الْإِنْسِ وَالجِنِّ . وَالْجِنَّةُ : جَمْعُ جِنِّيٍّ، كَمَا يُقَالُ: إِنْسٌ وَإِنْسِيٌّ . وَالْهَاءُ لِتَأْنِيثِ الجَمَاعَةِ . وَقِيلَ: إِنَّ إِبْلِيسَ يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ الْجِنِّ ، كَمَا يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ فِي صُدُورِ النَّاسِ عامًّا في الجميع. ومِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ : بَيَانٌ لِمَا يُوَسْوِسُ فِي صَدْرِهِ . وَقِيلَ مَعْنَى مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ أَيِ الْوَسْوَسَةِ الَّتِي تكُونُ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ، وَهُوَ حَدِيثُ النَّفْسِ . وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنهُ قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ) . رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ، وأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ . فَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بالمراد من ذلك .

- تفسير القرطبي -

والله أعلي وأعلم ، ونسأل الله أن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وسبحانك اللهمَّ وبحمدك ، أستغفرك وأتوب إليك .

تمت بمادة الكسار

كلمة تعريفية بالكاتب

- هو الدكتور حجازي خليل أمين خليل

- من مواليد محافظة المنيا بجمهورية مصر العربية .

- حاصل على كلية أصول الدين من الجامعة الإسلامية بأم دِرمان بجمهورية السُّودان .

- حاصل على الماجستير والدكتوراة في التفسير وعلوم القرآن من الجامعة الإسلامية بأمريكا الشمالية (القاهرة) .

- حاصل على إجازة برواية حفص عن عاصم من طريق الشّاطبية .

- إمام وخطيب بوزارة الأوقاف القطرية .

له مجموعة كتب ، منها :

- نفحات من سورة مريم

- تأملات في سُورة يوسُف

- خطورة اتباع الهوى

- لا تيأس

- سورة النور أسوار وأسرار

نَسْأَلُ اللهَ الإِخلاصَ في القَوْلِ وَالعَمَلِ

المحتويات

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس

- توطئة وتمهيد ..... ١٠ - ١٣
- بين يدي المجموعة ..... ١٥ - ١٩
- سورة الفاتحة ..... ٢٠ - ٢٤
- سورة الضُّحى ..... ٢٥ - ٢٧
- سورة الشَّرح ..... ٢٨ - ٢٩
- سورة التين ..... ٣٠ - ٣٣
- سورة العلق ..... ٣٤ - ٣٧
- سورة القدر ..... ٣٨ - ٣٩
- سورة البيِّنة ..... ٤٠ - ٤٢
- سورة الزلزلة ..... ٤٣ - ٤٦
- سورة والعاديات ..... ٤٧ - ٤٨
- سورة القارعة ..... ٤٩ - ٥٠
- سورة التكاثر ..... ٥١ - ٥٢
- سورة العصر ..... ٥٣ - ٥٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- سورة الهمزة ..... ٥٦ - ٥٧
- سورة الفيل ..... ٥٨ - ٦٠
- سورة قريش ..... ٦١ - ٦٢
- سورة الماعون ..... ٦٣ - ٦٥
- سورة الكوثر ..... ٦٦ - ٦٩
- سورة الكافرون ..... ٧٠ - ٧٢
- سورة النصر ..... ٧٣ - ٧٦
- سورة المسد ..... ٧٧ - ٧٩
- سورة الإخلاص ..... ٨٠ - ٨٢
- سورة الفلق ٨٣
- سورة الناس ..... ٨٤ - ٨٦

رقم الإيداع : 2399 / 2021

تاريخ الإيداع : 2021 / 1 / 19

الترقيم الدولي : 978 977 6777 84 2

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شركة M.M.E.A.D للطبع والنشر والتوزيع

مطبوعات محمد دحروج جمهورية مصر العربية

01063166882 = 01090062803